أخبار المُلاَّ ابن سيف

المتوفى عام ١٢٩٤هـ

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

ح محمد ناصر العبودي ، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد بن ناصر

أخبار الملا ابن سيف . / محمد بن ناصر العبودي . – الرياض ، ١٤٣٠هـ

٢٢٤ ص ، ١٧×٢٤سم .

ردمك : ٦- ١٩٠٧- ٠٠ - ٦٠٣- ٩٧٨

١- القصيم (السعودية) – تراجم ٢- السيف ، عبد المحسن بن محمد ، ت ١٢٩٤هـ أ- العنوان

ديوى : ٩٢٠.٥٣١١٩ ١٤٣٠/٥٥١

رقم الإيداع : ١٤٣٠/٥٥١

ردمك : ٦-١٩٠٧- ٠٠ - ٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

دار الثلوثية للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية – الرياض

تليفون : ٤٦٤٢٩٩٩

فاكس : ٤٦٤٥٩٩٩

email :tholothia@gmail.com

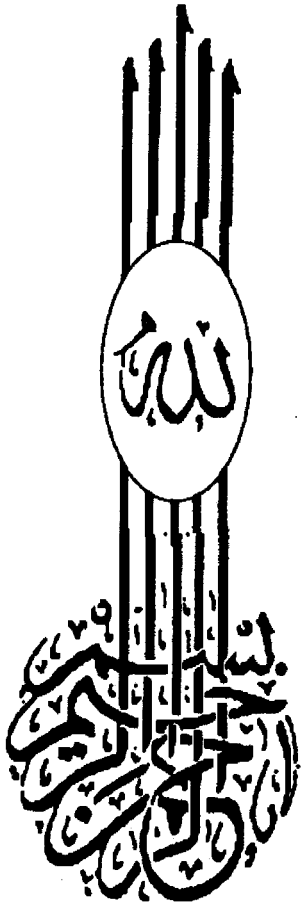
بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

فإن الراصد لمسيرة العلامة الموسوعي معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي يدرك كثرة العلوم وتزاحمها في دائرة اهتمامه حباً ومطالعة ومدارسة وتدويناً وتأليفاً.

وها هي دار الثلوثية في باكورة إصداراتها تزف هذه الباقة الجديدة من روائع ما كتبه معاليه في علم الأخباريات المتضمن العديد من القصص والأحداث لشخصيات متميزة تناقل الناس أخبارهم وتلقوا طرائفهم ومواقفهم، وظلت حياتهم موقوفة على تداول الشفاه واختلاف الروايات، فنهض معاليه إلى هذه المهمة كما نهض إلى غيرها من الأبواب التأليفية التي طرقها.

وعلم الأخباريات علم كاد أن يندرس في سجل علوم الأمة الإسلامية، ونرى أن العلاّمة العبودي قد ساهم في إحيائه وبث روح الفتوة فيه منذ كتابة الأول أخبار أبي العيناء، ثم في منهجه التأليفي المستمر في هذا السياق.

وإذا كان التأليف في الأخبار من طرائف المناهج التأليفية عند معالي الشيخ، فإنه معروف ببصيرته النافذة في مجال التأليف الجغرافي الثقافي إذ كتب مؤلفّه الضخم القيم: المعجم الجغرافي لبلاد القصيم، وأثرى المكتبة بأعماله المتعددة في الرحلات التي جعلت منه عميداً للرحالين تطوافاً وتدويناً بلا منازع، ولم تعرف الإنسانية لأحد مثل هذه المؤلفات من الرحلات التي تجاوزت حتى كتابه هذه الأسطر ١٢٠كتاباً.

كما أن الشيخ العبودي حفظه الله بهذه الإصدارات الأخبارية يقف فيها شاهداً على العصر حيث سمع أخبارها ونقل عن رواتها مشافهة وتلقى وقائعها من أصحابها وأبنائهم وأحفادهم، ونشأ في البيئة التي احتضنت وقائعهم ودقق في مسيرتهم، وبذلك مارس معاليه رصداً ثقافياً لمرحلة تاريخية مهمة حوت أنساقاً متعددة في الشريعة والاجتماع والأدب والتاريخ .

وإنني أدرك بأني لن أستطيع تقديم دراسة مفصلة عن هذه الكتب وما احتوته من تفاصيل مجتمعية دقيقة في مثل هذه المقدمة الافتتاحية، إلا أنني أستطيع الجزم بأنها تعد فتحاً في التأليف المنهجي في مثل هذا الفن، فهي رصد توثيقي هام استطاع المؤلف أن يقدمه بأسلوبه السهل الشائق بعيداً عن التكلف والعنت.

كما حلاّها بتلك الوثائق الهامة التي تمثل إضافة مهمة في أهمية الوثائق والعناية بها ودراستها وأن بالإمكان استخراج معلومات هامة وإضافات علمية دقيقة تخلص منها، لاسيما وهي تنبع من يد عالم متخصص حباه الله بالوعي والبصيرة والتمحيص، بالإضافة إلى الخبرة والدربة المبكرة في العناية بهذا الشأن

كما أن الشيخ بقدرته التاريخية ومعرفته الدقيقة بالأسر والأعيان والأعلام والرجال استطاع أن يبرز ما في هذه الوثائق من تراجم لمن وردت أسماءهم ويشرح ويسترسل في تفاصيل تلك الوثائق والأوراق بكل دقة وإمتاع.

وهذه الكتب التي تسعد دار الثلوثية بتقديمها إلى القراء لتكون باكورة إصداراتها هي:

١-مشاهد من بريدة قبل ٧٥ سنة .

وهو كتاب توثيقي هام يحكي تصويراً دقيقاً لمدينة بريدة قبل تلك القفزة العمرانية الهائلة التي تشهدها تبعاً للتغيرات والتحولات التي لحقت بها .

هذا وإن غالب وصفه لتلك البيوتات إنما هو لداره وجيرانه ومسجد حارته أو ما يعرف عند العامة " شمالي بريدة"، إلا أن الشيخ قام بوصف دقيق لتلك البيوتات آنذاك والحالة الاجتماعية للناس وحكى طرائفهم ونكتهم التي يتداولونها في سرد حكواتي جميل، وهو منهج أحسبه يعد تأليفياً مبتكراً عندما اعتمد أسلوب حياته وطريقه في السير في طرق بريدة سبيلاً للتأريخ لأحداثها ورجالها ومعالمها مما قد لايتسنى إدراجه في كتاب آخر، وإنني أتمنى أن يسنَّ معاليه بذلك سنة تأليفية حميدة لكبار العلم والسن والقدر في بلادنا وفي البلاد العربية والإسلامية ليقصّوا لنا حكايا مدنهم وقراهم ليتكون بذلك إرث تاريخي وثقافي واجتماعي مهم.

٢-أخبار الملا ابن سيف :-

وهو الكاتب الموثق المعروف عبدالمحسن بن محمد السيف المولود في بريدة سنة ١٢١٥هـ والمتوفى بها سنة ١٢٩٤هـ والذي كان أحد الكتبة المعروفين إضافة إلى أنه قد قام بتدوين تاريخ أسرته التي عرفت بالكتابة والتوثيق والتعليم مدة تجاوزت مائة عام.

٣- أخبار قني :-

عبدالكريم بن عثمان آل عبيد المولود في بريدة سنة ١٢٧١هـ والمتوفى سنة ١٣٥٩هـ وهو أحد القافة الدهاة الأذكياء المعروفين استطاع بما وهبه الله من فراسة ومعرفة أن يسجل نفسه أحد أبرز الشخصيات للقرن الماضي حتى عدت قصصه ومواقفه أشبه بالأساطير.

فقام العلاّمة محمد العبودي بجمعها وتدوينها وصياغتها والتثبت منها وصدر الكتاب بعدد من الوثائق الهامة لأسرته وشخصه جعلت من الكتاب مصدراً تاريخياً واجتماعياً هاماً.

٤-أخبار مطوع السيب:

الشيخ عبدالكريم بن عودة المحيميد ١٢٧٠هـ-١٣٤٦ هـ وهو كذلك شخصية اجتماعية بارزة والذي كان له طرائف وقصص ونكت متداولة تنبئ عن سرعة البديهة وحسن التصرف وجمال المنطق ولطفه وظرافته.

فقام العلامة العبودي بتوثيق حكاياه، وأفرد لمطوع السيب وأسرته المعروفة ترجمة مفصلة أبان فيها "حفظه الله" أحد قدراته العلمية في التراجم وأخبار الأسر والأنساب.

وختاماً يشرفني أن نقدم هذه الإصدارات المتميزة في إضافة مهمة لعلوم العبودي وفنونه التي أبدع فيها وأتقن وتنوع حتى عدّ علماً بذاته يلحق بكبار مؤلفي الأمة من المتقدمين، وذلك من حيث الكثرة والتنوع والجدة والتميز، وتبقى جهود معاليه العلمية معروضة أمام الباحثين والدارسين للدراسة والبحث وإبداء وجهات النظر، وستكون دار الثلوثية سعيدة إن نجحت في إثارة جزء من هذا الحراك العلمي؛ بل إنها تثق بذلك.

أدعو الله أن يحفظ شيخنا، وأن يمده بقوة من عنده ليكمل مشاريعه العلمية الكبرى التي ينتظرها محبُّوه والعارفون بفضله وقدراته.

وكتبه

محمد بن عبدالله المشوح

١٤٢٩/١٠/١٠هـ

المقدمة:

نحمدك اللهم، ونثني عليك، ونصلي ونسلم على عبدك ورسولك سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فإن تأليف الكتب في أخبار الرجال فن عربي أصيل، بل هو من الفنون المتقدمة على غيره بالنسبة إلى تدوين الفنون الأخرى في اللغة العربية، فقد كان علماؤنا الأوائل من أهل القرن الأول والثاني يؤلفون الكتب في أخبار الرجال، فيخصصون للشخص الواحد كتاباً يسمونه (أخبار فلان) وذلك قبل أن يبدؤا بتأليف الكتب في أخبار الطبقات، ومن بعد ذلك تأليف الموسوعات في الترجمات.

ولكن كتبهم في أخبار الرجال تكون مختصرة، وأحياناً تكون مقتصرة على أوراق معدودة كخمس ورقات أو نحوها، فإنهم كانوا يسمون الكلام كتاباً إذا كان مكتوباً مدوناً، ولو كان قليلاً، خلاف ما صار الناس يفهمونه الآن من كون الكتاب لابد من أن يكون مؤلفاً من ورقات كثيرة بحيث تؤلف مجلداً أو جزءاً قائماً بذاته.

ومن أمثلة تأليف علمائنا في هذا الصدد ما ذكره ابن النديم في الفهرست، كتاب (أخبار الأبجر) لإسحاق الموصلي، كتاب (أخبار ابن عائشة) لأبي أيوب المديني، كتاب (أخبار ابن نمير) لعمر بن شبة، كتاب (أخبار ابن السائب) للزبير بن بكار، كتاب (أخبار أبي فرعون كندر بن جحدر) لأبي العباس الصيمري، كتاب (أخبار حجر بن عدي) لابن عمار الثقفي وغيرهم كثير.

ولسنا نزعم أن الرجال الذين نذكر أخبارهم هم في منزلة الأقدمين، لأن لكل زمان دولة ورجالاً مثلما أن لكل مقام مقالاً، وإنما حرصنا على تسجيل

ما ذكرناه من أخبارهم من باب حفظها من الضياع، ومن باب الاستفادة منها في معرفة واقع الحال في وقتهم وما كان يجري فيه.

وبلادنا أشبه ما تشبه الآن ما كانت عليه الأمور في القرن الأول والثاني بالنسبة إلى الحواضر الإسلامية القديمة، إذْ كانت مرت على بلادنا قرون متطاولة عم فيها الجهل، وعدم العلم ولاسيما العلم المتعلق بمعرفة أخبار الرجال وما كانوا عليه، وبالتالي ما كانت عليه أحوال البلاد مما يفهم من أخبار أولئك الرجال.

ماعدا نتفاً ذكروها عن حاكم من الحكام أو عالم من العلماء وعددهم قليل جداً، بل هو نَزْر بالنسبة إلى سائر الناس.

ومن الطبيعي أنه يوجد أناس متميزون في شيء أو أشياء غير العلم الذي يراد به الفقه في الدين، وغير الإمارة وما يتعلق بها من الوقعات الحربية والأحداث السياسية، إلاّ أن الناس لم يكونوا يبالون بأولئك المتميزين، ولم يكونوا يلقون بالاً لتدوين أخبارهم، ولو دونها مدون لصار عمله أضحوكة لطلبة العلم، وموضع تندر القارئين على قلتهم، إذْ لم يكونوا يرون التأليف إلاّ فيما يتعلق بالفقه في الدين، وحتى هذا فالتأليف فيه عندهم قليل جداً.

مع أن القرآن الكريم حث على النظر في قصص الأولين، وقصَّ بالفعل قصص بعضهم، بل وأمر بالسير في الأرض والتفكر في خلق الله تعالى، ولكن الهمم في بلادنا كانت قد قصرت، بل إنها فيما يتعلق بالعلم والمعرفة قد اندثرت لذلك لا عجب في أن تخلو المدونات فيها على قلتها من أخبار الرجال البارزين في غير ميدان الفقه بالدين، أو الاستيلاء على الإمارة والحكم.

ومنذ أن عقلت الأمور وأنا أدون بقلمي أشياء لا أطّلع عليها إلاّ مَنْ وثقت من كونه لا يعيبني بذلك ولن يقع في عرضي بسببه.

وذلك لغرابة مثل هذه الأمور على أذهان الناس.

والعجيب الغريب أن الناس يهتمون بأخبار الأشخاص البارزين في الميادين المختلفة فيتناقلونها بينهم في مجالسهم وفي أحاديثهم المعتادة، غير أنه ما أن يرى بعضهم أن شيئاً منها يحتاج إلى قيد يقيده، أو كتابة عنه يكتبها حتى ينبري الآخرون للضحك من صنعه وتفنيد رأيه وتسفيه عقله.

وهكذا يموت أولئك الذين كانوا يتداولون أخبار الشخص البارز، فتموت معهم أخباره أو أكثرها، ثم يأتي جيل جديد يشتغل عن رواية تلك الأخبار بأخبار جديدة عن شخصيات أخرى فتموت الأخبار الأول، ويكون نصيب تلك الأخبار وما تدل عليه النسيان والانقراض.

وقد آليت على نفسي أن أدون أخبار الشخصيات البارزة من أهل القصيم في أي ميدان من ميادين الحياة، وذلك في كتاب: (معجم أسر القصيم) وبدأت به بالفعل، إلا أنني وأنا أفعل ذلك والأمر يحتاج إلى البحث عن رواة الأخبار ثم مذاكرتهم بها نقل عملي من وظيفة الأمين العام للدعوة الإسلامية التي كان مقرها في الرياض إلى وظيفة الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، ومقرها في مكة المكرمة، وليس ذلك فحسب، وإنما كان عملي في رابطة العالم الإسلامي يتطلب مني أن أشد الرحال إلى كل أنحاء العالم للاتصال بالإخوة المسلمين، وتوثيق العلاقات معهم وإيصال البر من بلادنا إليهم، لذلك صعب عليَّ أن أجد الوقت للحديث مع الإخباريين من شيوخ العامة ورواتها، والمذاكرة معهم في هذه الأمور.

ومع ذلك كنت دونت من حفظي بعض الأخبار التي تروى عن شخصيات معينة، ومنها حمد الصقعبي الذي كتبت عنه كتاباً منذ عهد قديم

بعنوان: (أخـــبار حمـــد الصقـــعبي) ولكنه لم يطبع، رغم سؤال الناس عنه، والسبب في ذلك أن أخبار حمد الصقعبي فيها من أخبار الفتك والجرأة على إتيان ما لا يجوز في هذا الصدد ما يجعل المرء يتوقف عن إصدارها في كتاب يشيع بين الناس، لذا تركته على أمل أن أعيد النظر فيه فأحذف أشياء منه أنوه بحذفها وبكونها تتعلق بالموضوع الفلاني.

ومن وحي ما تقدم كتبت كتيبات صغيرة في أخبار أشخاص ذوي طبيعة خاصة قد برزوا فيها:

أولهـــا: كتاب (أخبار حمد الصقعبي) المذكور.
وثانيهـــا: هذا الكتاب: (أخبار الملا ابن سيف).
وثالثهـــا: (أخبار مطوع اللسيب).
ورابعهـــا: (أخبار علي المقبل وابنه سليمان).
وخامسها: (أخبار قني).

وربما يكون **سادسها:** (أخبار محمد الربدي).

ولا شك في أنه لو كان قد صح عزمي على تأليف مثل هذه الكتيبات قبل سنوات عندما كان مقر عملي في مسقط رأسي مدينة بريدة، وكنت قريباً من الإخباريين الذين يروون القصص والأخبار عن هذه الشخصيات الشعبية لكان ذلك أسهل عليَّ، ولكانت الكتب أحفل، ولكن (ما لا يدرك كله لا يترك كله).

فأنا لا أزال أحفظ طائفة من أخبارهم، وقد دونتها في هذه الكتيبات بالفعل، كما أنني حاولت أن أعوض النقص فيما كان يحفظ من أخبارهم بدراسة الوثائق والمكاتبات التي وردت فيها أسماؤهم، ولديَّ منها قدر لا بأس به، وهي تعتبر من المصادر المكتوبة بل تكاد تكون المصدر الوحيد المكتوب في هذه البلاد، مع أنه لم يقصد بها كاتبوها- في الأصل- أن تكون كذلك،

وإنما كانوا كتبوها لأغراض أخرى مثل ما يتعلق بالوصايا والأوقاف أو بالمبايعات والمداينات أي كتابة الدَّين والإشهاد عليه.

والقصد من كتابة مثل هذه الكتيبات ليس مجرد المتعة بما ورد فيها من النكت التي يجدها بعض الناس من قراءتها، وإنما هو بالدرجة الأولى حفظ معلومات مهمة من تاريخنا وأخبار رجالات بلادنا عن الضياع، أو على الأقل محاولة ذلك، مما كان هو الدافع الأساسي الذي حدا بي إلى تأليف (معجم أسر القصيم).

* * *

الملا ابن سيف:

تعني كلمة (المُلاَّ) عندهم بضم الميم، وتشديد اللام: الحسن الخط من الأشخاص وهي كلمة فارسية تعني في الأصل الكاتب، أو العالم من علماء الدين.

فهي إذاً غير عربية ولكنها هي الشائعة عندهم لهذا المعنى ولا توجد كلمة عربية مستعملة له عندهم مثل كلمة (خَطاط) المعروفة في عصر المدنية العربية في العهد العباسي على أن بعض المتحذلقين المتقدمين زعم أن كلمة (الملا) مأخوذة من كلمة (المولى) العربية من غير أن يأتي بدليل على ذلك إلا مجرد الذوق أو القرب اللفظي واستكراه أن تكون كلمة أعجمية.

وقد عرفنا في مدينة بريدة ثلاثة (ملالي) – إن صح التعبير– أولهم: هذا (الملا) القديم ابن سيف وثانيها: (محمد بن عيدان) ولم ندرك عهده ولكنني أعرف ابنيه، وكان حفيده محمد بن صالح العيدان زميلاً لي في الدراسة في المدرسة الابتدائية عام ١٣٥٧هـ.

وثالثهم: شخص يعتبر معاصراً لي، وإن كان أكبر مني سناً، بل إن ابنه الكبير في مثل سني أو أكبر قليلاً وهو عبدالله بن دليقان، وقد درست عليه الخط عندما كان مدرساً في مدرسة بريدة السعودية في عام ١٣٥٧هـ.

وبعد ذلك كثر الخطاطون أو ذووا الخطوط الحسنة، وتعلم الناس فنسوا كلمة (الملا) هذه التي معناها: حَسن الخط.

إن (الملا ابن سيف) هو الوحيد الي بقي ذكره على ألسن المتتبعين للأخبار والنوادر فترة من الوقت، وليس ذلك من أجل جمال خطه بالنسبة إلى خطوط الآخرين ولكن من أجل شخصيته وحبه للنكتة المهذبة، والنادرة المطربة، إلى جانب كونه ثرياً ذا مقام في بلدته.

ولذلك ماتت ألقاب (الملالي) الآخرين الذين لم تكن لهم من الشهرة أسباب إلاَّ حسنُ الخط.

ثم صرنا أخيراً نسمع بكلمة (المُلاَّ) وجمعها الملالي في الصحف والإذاعات نعتاً لحكام إيران والمتصرفين في أمرها، الذين ثاروا على (شاه إيران) بقيادة الشيخ الخميني ونجحوا في ذلك، إلا أن كلمة (الملا) عندهم تدل على العالم بأمور الدين، وليس على حسن الخط، وهذا معنى للكلمة ليس معروفاً عندنا ولم يكن معروفاً قبل ذلك.

اسمه ونسبه:

هو عبدالمحسن بن محمد بن سيف بن محمد بن سالم بن سيف بن عبدالقادر بن محمد بن سيف بن جازي بن جَزَّاي.

هكذا أخذنا نسبه من الشيخ محمد بن ناصر السيف الذي كان قاضياً في الجوف وفي أماكن أخرى منها عقلة الصقور، وهو ابن ابن أخي الملا عبدالمحسن بن سيف.

ومع قلة عناية الناس بتسلسل أنسابهم في منطقتنا، واستغراب بعض الناس لوجود أسرة ترفع نسبها إلى هذه الدرجة العالية من الأجداد فإنني لا اعتبر ذلك غريباً لأن أسرة (السيف) فيما عرفناه من تاريخها القريب تتميز بالكتابة والعلم، لذلك لا يستبعد أن يقيد أحد أبنائها نسبها ويرفعه إلى هذه المنزلة من الأجداد.

وهم أبناء عم لآل سالم الأسرة الكبيرة في بريدة التي انبثقت منها عدة أسر ذكرتها في معجم أسر القصيم يجمعهم بهم جدهم جزاي، فآل سيف من ذرية جازي بن جزاي وآل سالم من ذوية سالم بن جزاي.

وينتمي آل سيف إلى جزاي الذي هو من آل محفوظ من العجمان.

هكذا قال كبار الأسرة مثلما قال كبار أسرة آل سالم الذين قالوا: إن ثلاثة من قبيلة العجمان سكنوا القصيم حيث لا يوجد في القصيم في ذلك الوقت أحد من (العجمان) غيرهم وهم جزاي وحصيني ومينا.

أما جزاي فإنه جد آل سيف وآل سالم أهل بريدة، وإن كان أوائل أبناء جزاي قد سكنوا في حائل ومنهم طائفة من (السيف) ولا تزال منهم فيها بقية.

أما آل سالم فإنهم بقوا في منطقة بريدة لم ينتقلوا منها إلى مكان آخر في نجد، وإنما انتقلت منهم طائفة إلى العراق.

* * *

عصر الملا ابن سيف:

عاش الملا عبدالمحسن السيف في القرن الثالث عشر: عصر الاضطرابات والفوضى في بعض بلدان نجد فكانت المأساة الكبرى والطامة العظمى سقوط الدولة الإسلامية التي لم تقم قبلها دولة مثلها، ولا شبيهة بها في جزيرة العرب بعد صدر الإسلام وهي الدولة السعودية الأولى التي سقطت في عام ١٢٣٤هـ عندما سقطت عاصمتها الدرعية بأيدي إبراهيم باشا المصري الذي كانت موارد الدولة التركية فضلاً عن المصرية تتابع عليه بوساطة مصر، بل حتى كانت موارد مصر تذهب إليه وإلى جنوده ويحرم منها المصريون- كما ذكر الجبرتي في تاريخه- وقد أعقب سقوط الدولة الأولى سنوات من الفتن والاختلافات والاضطرابات الداخلية.

إلى جانب مصادرات القواد المصريين المسمين بالأتراك لأهل نجد الذين لم تبق الفتن والاضطرابات على شيء يمكن أن يصادر منهم فصاروا يقتلون من يقتلون ويخربون الديار، ويقطعون النخيل و هم من أمثال (حسين بيك) الذي خرج إلى نجد في عام ١٢٣٦هـ ومثل سميه حسين أبو ظاهر الذي خرج إليها بعد ذلك بسنتين أو نحوهما.

وصار بعض الناس يثب على الأمراء والحكام فينتزع إمارة بلاده منهم، فيحدث قتال وسفك دماء.

وقد حصل للقصيم شيء من ذلك مذكور في تاريخ البلاد، ولكن كان لموارد القصيم الغذائية أثر في تخفيف الضائقة، ودفع غائلة الموت جوعاً عن كثير من الناس.

حتى خرج الإمام تركي بن عبدالله آل سعود راجعاً إلى الدرعية التي كان خربها إبراهيم باشا ثم إلى الرياض.

فصار الإمام تركي يقارع ويناضل في استعادة سلطة آل سعود والسير بالدولة على طريق الأمن والأمان، وتحكيم الشرع الشريف، إلى أن قتل بيد مشاري آل سعود في عام ١٢٤٩هـ.

فنهض ابنه الإمام فيصل بن تركي الذي التزم بالأخذ بالحزم والعزم مع الحلم في توطيد الدولة السعودية الثانية.

وكان القصيم الذي عاش فيه الملا ابن سيف لإمرائه استقلال داخلي تحت الحكم السعودي، وللناس فيه احترام لأحكام الشرع الشريف فإذا اعتدى أحد على أحد بأخذ ماله أو سلب حقه كان العلماء وأهل الحل والعقد له بالمرصاد، وكان الأمراء ينفذون ما يحكم به القضاة.

ونفترض أن (الملا ابن سيف) ولد في سنة ١٢١٥، أو قريباً منها وعاش حتى عام ١٢٩٤، كما أوردنا شواهد على ذلك في ترجمته في كتاب: (معجم أسر بريدة).

ولو سألنا الملا ابن سيف عن الأمراء والحكام الذين تعاقبوا على الحكم في حياته لذكر أنهم يزيدون على عشرة بل ربما وصلوا إلى العشرين ابتداء من (حجيلان بن حمد) الذي امتد حكمه من عام ١١٩٤ حتى عام ١٢٣٣ ثم ابنه عبدالله، ثم ابن عمه سليمان بن رشيد الحجلاني ثم عدد من أسرة آل أبوعليان الذي تعاقبوا على الحكم، كان أطولهم مدة الأمير عبدالعزيز بن محمد آل حسن.

وما زال تولي الحكام مستمراً حتى تولى الإمارة مهنا بن صالح بن حسين آل أبا الخيل إلى أن قتل في محرم من عام ١٢٩٢هـ، وتولى الحكم بعده ابنه

حسن المهنا، وفي أول حكمه كانت وفاة الملا ابن سيف في عام ١٢٩٣ أو ١٢٩٤هجرية بعد أن عُمِّر أي عاش عمراً طويلاً حافلاً بالوجاهة والثروة، والمنزلة الرفيعة لأسرته (آل سيف) في بريدة كما يتضح ذلك من دراسة ما خلفه من أوراق تضمنت عقود مبايعات أو وصايا أو مداينات أو تعاقدات، غير ذلك.

أسرته:

أسرة (آل سيف) أو (السيف) كما يعبر به أهل القصيم عنهم أسرة ثقافية إن صح هذا التعبير في وصف أقوام قدماء إذْ كانوا أهل علم وكتابة.

أما العلم فإن منهم علماء معروفين، وأما الكتابة المتعلقة بكتابة الوثائق والوصايا والأوقاف والمبايعات المهمة فإنه لا توجد أسرة أخرى في بريدة فيها من الكتبة مثلما في أسرة السيف، فقد حفلت بأعداد منهم عديدة، وصارت الأوراق المهمة التي كتبها أفراد من (السيف) ولا تزال أكثر وثائق كتبتها أسرة واحدة.

ولو قال أحد: إنه يمكن تلخيص تاريخ لأمور بريدة مما كتبه آل سيف من الوثائق وحدهم لما أبعد عن الصواب، وقد كان ذلك موجوداً من بداية وصول الأوراق والوثائق المكتوبة في بريدة أي منذ القرن الثاني عشر حتى الثلث الأول من القرن الرابع عشر.

ولا شك في أن من كانوا منهم قبل ذلك كانوا مثلهم أو في منزلة قريبة من منزلتهم في هذا الأمر، غير أن كتاباتهم لم تصل إلينا، لعدم وجود طرق تحفظ الأوراق والوثائق حفظاً مناسباً كالذي في مكتبات الحواضر في البلدان العربية، ولذلك ذهب أكثرها.

ولم يكن (السيف) كلهم من حسني الخط كالملا عبدالمحسن وإن كان يوجد فيهم من هم كذلك، ولكن خطوطهم معتبرة عند الناس ومشهورة بالضبط وحسن التعبير في هذا المجال في وقت كان من يحسنون فيه التعبير عن هذه

الأمور قليلاً، فمنهم من الذين اطلعنا على خطوطهم وكتبوا آلاف الوثائق والمكاتب محمد بن سيف السيف، والد الملا ابن سيف.

ولم يشتهر بحسن الخط وإنما بضبطه واعتباره عند الناس.

أما ابنه صالح بن محمد بن سيف فإنه كان جميل الخط إلى درجة مدهشة في ذلك العصر، إلا أن كتابته للوثائق والمبايعات ليست من الكثرة في مثل ما عليه الحال بالنسبة لما كتبه والده.

الكتّاب من أسرة السيف:

بمناسبة ما اشتهر به الملا عبدالمحسن بن سيف من جودة الخط وحسن الإملاء، فقد رأيت أن أستعرض بعض أسماء الكتبة من أسرة السيف مع نماذج من كتاباتهم وشيء من التعليق على بعض الوثائق التي كتبوها لأنها لا تفهم حق الفهم بدون تلك التعليقات لاختلاف العصر، وتبدل كلمات اللغة وتغيير أساليب الحياة وأنماطها بين عصرهم وعصرنا الذي نعيش فيه الآن في وفرة من المال وخضرة من العيش، مما أفاء الله علينا من خيرات الأرض ومعادنها، ومن نعمة الأمن والأمان بسبب تحكيم الشرع الشريف فيما يحصل بين الناس من منازعات.

وقد نشأ عن ذلك موت كلمات كثيرة كانت تتعلق بأغراض عفا عليها الزمن بسبب ذلك التطور والتغير، وحلت محلها كلمات وتعبيرات أخرى مستوحاة من واقع المعيشة الجديدة بحيث لو بعث أولئك الكتبة من قبورهم لما عرفوا تلك الكلمات الجديدة، بل لتحيروا فيما تدل عليه.

وسوف أتبع الحديث عن الكتبة من أسرة السيف بإيراد نماذج من كتابات الملا ابن سيف نفسه، والتعليق على بعضها، بمثابة الأنموذج والمثال.

* * *

صالح بن محمد السيف:

هذا كاتب جميل الخط جداً بالنسبة إلى خطوط أهل زمنه، لذلك استحق أن يكون كاتباً رسمياً فهو كاتب الشيخ عبدالعزيز بن سويلم قاضي بريدة الذي عينه الإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود قاضياً على بريدة وما حولها من القصيم، فكان صالح بن سيف هذا يكتب الصكوك التي تتضمن الفصل في القضايا من إملاء القاضي الشيخ عبدالعزيز السويلم وربما كان هو الكاتب الوحيد من أسرة (آل سيف) في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الذي هو كاتب رسمي معين من الحكومة والحكومة هي ولي الأمر الذي عين الشيخ ابن سويلم وله نواب من أمراء البلاد يقومون مقامه وينفذون الأحكام الشرعية التي يصدرها القضاة.

والحقيقة أنه ليست بين أيدينا ترجمة لهذا الكاتب الماهر المعين من الحكومة، ولا نعرف تاريخ مولده ولا وفاته، إلاَّ أننا نعرف العصر الذي عاش فيه، وفيه كتب ما كتب ويمتد من العقد الثاني من القرن الثالث عشر إلى العقد السادس منه ولا شك في أنه كتب أشياء أخرى كثيرة لم يصل أكثرها إلينا.

وخطه مثل خط الملا عبدالمحسن بن محمد السيف واضح لا يحتاج إلى نقل بحروف الطباعة، بل هو يقرأ كما تقرأ الحروف الطباعية.

وأول من قال لي: إنه هو الكاتب الرسمي للقاضي عبدالعزيز بن سويلم أستاذنا الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سليم وأخواله آل سيف هؤلاء، فهو يعرف عنهم أشياء مهمة ولكنه توفي قبل أن أعزم على كتابة هذا الكتاب، وأحتاج إلى نقل أخبار الكتبة من آل سيف مفصلة.

* * *

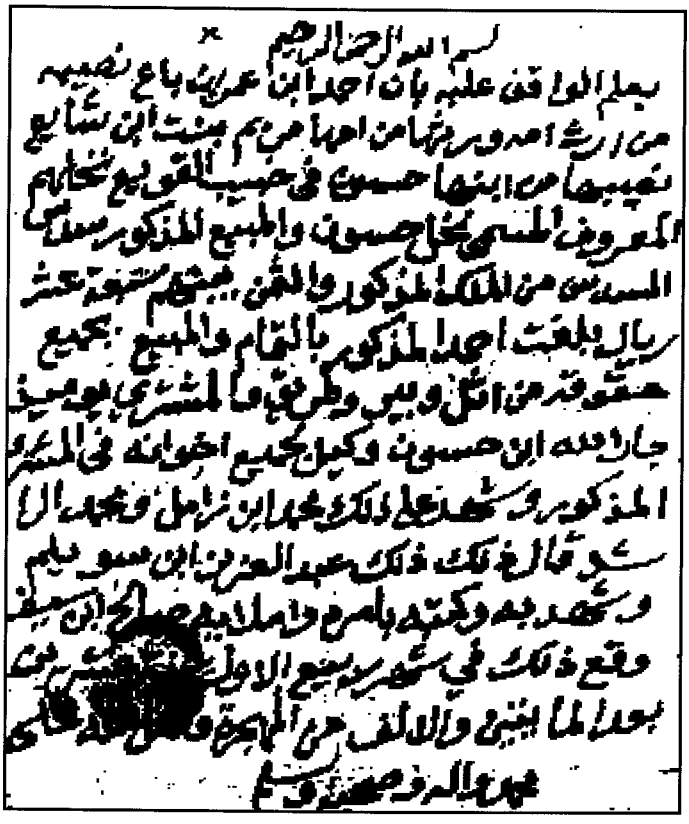

ويمكن أن نقسم الوثائق التي كتبها صالح بن سيف هذا إلى قسمين أحدهما وثائق رسمية صادرة من قاضي بريدة الشيخ عبدالعزيز بن سويلم، ومكتوبة بإملائه أو بإقراره جميعها.

والثاني: وثائق معتادة لسائر الناس وسوف نقدم نماذج من كل قسم، فمنها هذه الوثيقة المؤرخة في شهر ربيع الأول سنة عشرين بعد المائتين والألف.

وتتضمن الوثيقة أن أحمد بن عمران باع نصيبه من إرث ورثه من أمه مريم بنت شايع نصيبها من ابنها حسون في خبيب القويع نخلهم المعروف المسمى نخل حسون على جارالله بن حسون وكيل لجميع إخوانه في المشترى المذكور.

وفي آخرها قال ذلك عبدالعزيز بن سويلم وشهد به وكتبه بأمره وإملائه صالح بن سيف، ويلاحظ على هذه الوثيقة ما يلي:

أولاً: وصفها لمكان النخل بأنه في خبيب (القويع) فهو ليس (القويع) المشهور الذي يقع في الخب الذي هو غرب الغاف يفصل بينهما النفود، وإنما هذا القويع الذي نعته بأنه خبيب بالتصغير هو القويع التحتي الذي يقع في امتداد الخب الذي فيه الغاف، ويقع شمالاً من الغاف وكان يعرف بالعابسية، ثم صار يعرف بالصبيحية لوجود حائط نخل ومزرعة فيه تسمى (الصبيحية) نسبة إلى أسرة الصبيحي المعروفة عند أهل بريدة.

وكانت في شماليه منزلة صغيرة لجماعة من ذوي البشرة السوداء الذين اشتهروا بأنهم كانوا يصنعون الجص ويبيعونه في بريدة، وقد دخل سيل وادي الفاجرة الصغير إليها عندما صرف مجراه في عهد حسن المهنا أمير بريدة فهدم تلك الحارة فعرفت بالهدام لفترة من الزمن حتى نسي ذلك.

ومن الطريف أن هذا المكان (صُغَّر تصغيرين) أحدهما لا حيلة فيه، لأنه هو اسمه الذي عرف به (القويع)، تصغير القاع، أما الثاني فإنه الوارد في هذه الوثيقة خبيب؛ تصغير خب.

ثانياً: أن البائع أحمد بن عمران هو من أسرة العمران المعروفة التي كانت من أهل بلدة الشماس القديمة من الدواسر، ودخلت إلى بريدة بعد أن أجلي حجيلان بن حمد أهله عنه، وحَرَّمَ أن يسكن بعد ذلك، فافترق أهله ثلاث فرق إحداها توجهت إلى الشماسية، حيث يسكن أبناء عمهم الذين كانوا خرجوا من (الشماس) قبلهم فعمروها، وسكنوها تخوفاً مما حل بالشماس بعد ذلك.

وفرقة دخلت إلى بريدة من الشماس ومنهم العمران هؤلاء، وفرقة ذهبت إلى خُبُوب بريدة وعمروا فيها أماكن بالزراعة وغرس النخيل، وقد ذكرت عدداً من الأسر التي ذهبت من الشماس إلى الاتجاهات الثلاثة في (معجم أسر بريدة).

غير أن أحمد بن عمران المذكور في الوثيقة لا نعرف عنه شيئاً.

ثالثاً: أن القاضي الشيخ عبدالعزيز بن سويلم هو أول من سكن بريدة من أسرة السويلم أهل بريدة، وربما كان رأس الأسرة أي أباً لأكثرهم لأننا عرفنا بعد ذلك أن أخاه عبدالرحمن لحق به، وسكن بريدة، وربما كان مجيئه إليها بعد وقعة الدرعية ولدينا وثائق ذكر اسمه فيها خلال العقد الرابع من القرن الثالث عشر.

إن الشيخ عبدالعزيز بن سويلم جاء إلى بريدة من الدرعية والياً على القضاء فيها، ولكن بعد أن ترك القضاء لم يرجع إلى منطقتها، بل آثر البقاء في بريدة، وفتح له دكاناً في السوق يتعيش منه، ودكانه هذا ورد ذكره في قصة طريفة مذكورة في غير هذا المكان.

رابعاً: أن الحسون المذكورين في الوثيقة هم من (الحسون) الذين هم من (آل أبوعليان) حكام بريدة السابقين.

أما الوثائق غير الرسمية وليس المراد بكونها غير رسمية أنها غير معمول بها، بل هي وثائق معتبرة، لاسيما أن كاتبها هو صالح بن سيف المعروف للجميع آنذاك، وإنما المراد بذلك أنها من إنشائه هو، وليست من إملاء القاضي عليه، وهي تبدو أكثر تأنقاً وتحسيناً في الأسلوب من التي أملاها عليه القاضي، وهذه نماذج منها:

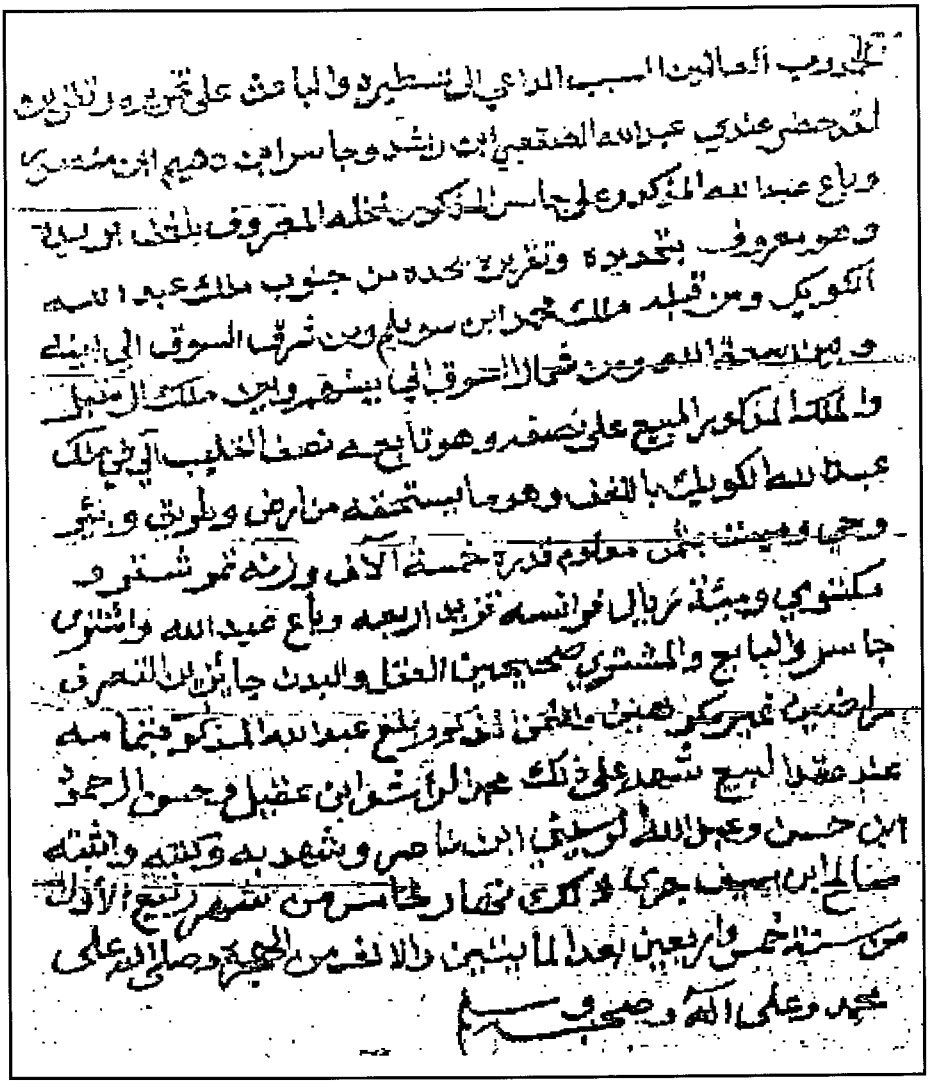

والوثيقة مؤرخة في الخامس من ربيع الأول عام ١٢٤٥هـ وتتضمن مبايعة بين عبدالله بن راشد الصقعبي وجاسر بن منصور الدهيم لنخل في شمال الصباخ الواقع إلى الجنوب من مدينة بريدة القديمة والثمن كثير أو أنه يساوي أهمية المبيع إذ هو مائة ريال فرانسة تزيد أربعة أي مائة وأربعة ريالات من الريالات الفضية الكبيرة التي تسمى (الفرانسه) وأحدها (فرانسي) وليس (فرنسي) وخمسة آلاف وزنة تمر شقر، وكانت التمرة الشقراء هي

أنفس التمر الشائع أو قل المرغوب به عندهم، ومع الشقر أيضاً مكتومي ولا ندري عن مقدار كل من الشقر والمكتومي، لأن أقيامهما متقاربة حسبما أدركنا ذلك وفي هذه الوثيقة عدة ملاحظات.

أولها: استعمال صيغة (حضر لديَّ) بعد المقدمة، وهذه الصيغة يقولها القضاة والفقهاء من الكتبة ولا تقولها عامة الكتبة.

ثانيها: أنها استعمل ذكر اسم الأب بعد اللقب لعبدالله الصقعبي ابن راشد، وهو عبدالله بن راشد الصقعبي وأسرة الصقعبي كبيرة كثيرة الأفراد بحيث يصعب معرفة الشخص التاريخي منهم، وهو المذكور في التاريخ القديم إلاَّ بعد بحث.

والذي بعده هو جاسر بن دهيم بن منصور، و الذي نعرفه من نسب آل جاسر أن جاسراً هذا والده هو منصور ومنصور والده ابن دْهَيِّم، لأن الجاسر يقال لهم (الدّهَيِّم) قبل أن يصبح اسمهم الجاسر، والذي تغير اسمهم وخروجهم لفظياً من (الدّهَيِّم) هو جاسر بن منصور هذا نفسه.

فجاسر هذا هو رأس أسرة الجاسر الكبيرة في بريدة، وهي أسرة أوتيت حَظاً من المال والولد فنمت بل تضخمت بسرعة.

ثالثها: أن (لغف) بريدة يعني حيث ينقطع النفود وهو الكثيب الرملي فما كان عنه جهة الشرق فهو (لغف) ذلك النفود، ونسب (اللغف) إلى بريدة لأن مدينة بريدة القديمة واقعة في امتداد هذا اللغف أسفل من الكثيب نفسه الذي يقع فيه ذلك الملك المبيع.

رابعها: أن الأسر المذكورة في الوثيقة، وهي الكويك والسويلم والمقبل كلها أسر معروفة فالكويك هم من أهل الصباخ الذين نعرف أن لهم فيه أملاكاً

جيدة يقع إلى جانب أحدها جادول وهو الطريق في الكثيب يسمى (جادول) الكويك، حددت به بعض الأملاك ولا أعرف معنى اسمهم (الكويك) ولا سببه.

وأما (المقبل) فإنهم أسرة ثرية من أهل بريدة وخرج منهم أناس إلى خب المنسي قرب البصر فغرسوه نخلاً وسكنوا فيه، وقد حصل محمد بن مقبل منهم على ثراء عظيم وهو جد الشيخ محمد بن عمر بن سليم لأمه لأن أم الشيخ محمد هي رقية بنت محمد المقبل، وقد ذكرت الوثائق والمستندات التي تدل على ذلك في (معجم أسر القصيم).

ومنهم الشيخ الشهير سليمان بن علي المقبل الذي تولى القضاء في مدينة بريدة، وحمدت سيرته في القضاء حتى صار يضرب به المثل ولم يقبل أمير بريدة وأهلها أن يعفوه من القضاء عندما استعفى منه، أي استقال فحج، وأرسل إليهم من مكة: إني مجاور في مكة يريد أنه سيقيم فيها فابحثوا لكم عن قاضي، فعندئذ عين أمير بريدة حسن المهنا بدلاً منه الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وكل هذه الوقائع والحوادث تآريخها معروفة، ذكرتها في (معجم أسر القصيم).

وابن أخيه هو الشيخ الزاهد محمد بن مقبل فوالده كان اسمه (مقبلاً) والشيخ محمد هو قاضي البكيرية الذي اختاره الملك عبدالعزيز لولاية قضاء بريدة بعد وفاة الشيخ عمر بن سليم عام ١٣٦٢هـ، وألح عليه جماعة أهل بريدة فلم يقبل القضاء فيها.

وأما الأسرة الأخرى التي اسمها المقبل وهي من سكنة مدينة بريدة فإن جد الأسرة مقبل آل عبيد، لم يسكن بريدة قبله منها أحد، بل نعتقد أن ابنه المحسن الكبير الورع علي بن مقبل الذي صار ثرياً مشهوراً كان عمره عندما كتبت هذه الوثيقة خمس سنين أو نحوها، أو هو لم يولد بعد، إذْ مات في عام ١٣٣٤هـ وأبوه مقبل هو رأس أسرة المقبل هؤلاء وكانوا يسمون قبل ذلك

العبيد، وقد كانوا في التنومة قبل بريدة بخلاف (المقبل) الذي قبلهم فإنهم كانوا قدماء السكنى في بريدة، أعني الذين منهم المشايخ القضاة.

وكان المقبل (آل عبيد) من سكنة التنومة فغادروها إلى عنيزة ثم عادوا من عنيزة إلى بريدة في نحو العقد السابع من القرن الثالث عشر، ولذلك صرنا نجزم على أن (المقبل) المذكورين في بريدة حتى ذلك التاريخ هم من المقبل الذين منهم المشايخ والقضاة، أما بعد ذلك فإننا صرنا لابد لنا من التحري في معرفة أي شخص من المقبلين أي أسرتي المقبل في بريدة.

خامسها: أن الرجل لا يحسن النحو ولذلك لحن في جملة (والبائع والمشتري صحيحين العقل والبدن) وصحة العبارة: صحيحا العقل والبدن، برفع صحيحا لأنه خبر مرفوع وهو مثنى يجب حذف نون التثنية منه في حال الإضافة كهذه الحالة، ومثل ذلك (جايزين التصرف راضيين غير مكرهين).

وكذلك استعمل الاسم الموصول باللفظ العامي (اللي) بدلاً من (الذي) الفصيحة مع أن العامة والخاصة يعرفون معنى (الذي) ويعرفون أن (اللي) هي قرين لكلمة الذي.

سادسها: أن الشهود الذين ذكرهم ثلاثة وهذه طريقة جيدة أخذ بها كتبة الوثائق من آل سيف أو بعضهم مع أنه يكفي في الشهادة على الأموال اثنان كما هو معروف، وكان الأغلب على سائر الكتبة أن يكتفوا بشاهد واحد، تضم إليه شهادة الكاتب، وهم: محمد الراشد بن عقيل، ونعتقد أنه من آل راشد الذين هم من (آل أبي عليان) حكام بريدة السابقين وأدركنا منهم (عقيل) الراشد والمطوع خلف الراشد: ولا يزال بقاياهم الحاضرة فيها خير وبركة إن شاء الله.

والثاني هو حسن الحمود بن حسن وهو أيضاً من (آل أبوعليان).

والثالث: عبدالله الرسيني ابن ناصر وهو عبدالله بن ناصر الرسيني ورد اسمه هكذا، أي بذكر اسم والده ناصر قبل لقب أسرته كما هو المعتاد.

وأسرة الرسيني معروفة مشهورة ولا تزال وعرفناها في الوثائق تملك عقارات ونخيلاً كثيرة منها ملك أي نخل مزدهر في (الصباخ) اشتراه منهم حسن بن مهنا أمير بريدة وهو نخل ثمين إلى درجة أن قاضي بريدة الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر أمر أن يباع ويقضى دين حسن المهنا منه، وسيأتي بيان ذلك، وصور الوثائق المتعلقة به عند ذكر (ناصر بن سليمان بن سيف).

* * *

ووثيقة ثانية:

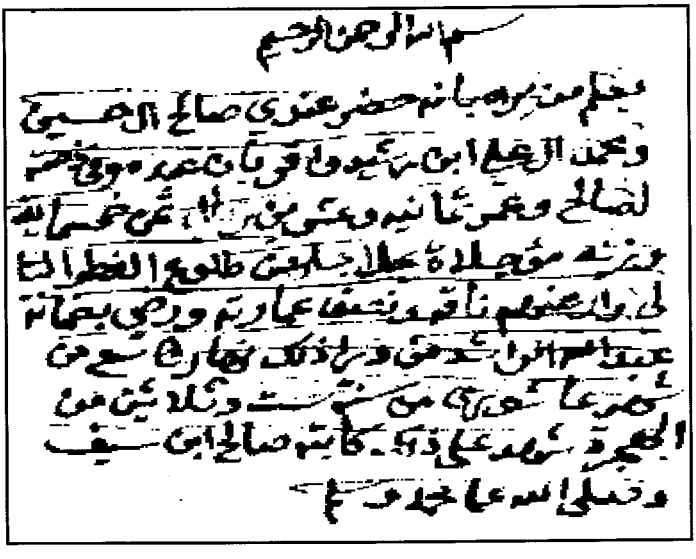

وهذه وثيقة أخرى كتبها صالح بن سيف وذكر تاريخ السنة والشهر الذي كتبت فيه ولكنه لم يذكر تاريخ القرن كما تكرر ذلك منه.

والوثيقة مؤرخة في ٩ محرم عام ٣٦ والمراد ١٢٣٦هـ.

والأشخاص المذكورون فيها أحدهم شخصية تاريخية، وهو صالح آل حسين وهو صالح بن حسين أبا الخيل والد مهنا بن صالح الذي تولى إمارة بريدة حتى قتل عام ١٢٩٢، واستمر ابنه حسن بعده في الإمارة حتى موقعة المليدا عام ١٣٠٨، ثم صار ابنه أي ابن حسن وحفيد مهنا (صالح الحسن) في إمارة بريدة فترة حتى غضب عليه الملك عبدالعزيز آل سعود فأخذه وأخاه مهنا إلى الرياض حيث لم يستطيعا الرجوع إلى بريدة وماتا مقتولين.

واللافت للنظر أن الدين المذكور على (علي بن رشيد) كان لصالح الحسين وعمر الذي هو عمر بن عبدالعزيز بن سليم، وكان عمر في ذلك الوقت حديث النزول في بريدة إذْ تاريخ الوثيقة في عام ١٢٣٦ بعد احتلال الدرعية وتخريبها من قبل إبراهيم باشا بسنتين، فاحتاج لكي يكون تعامله مضموناً في بلدة كان حديث العهد بسكناها هي بريدة أن يشارك في التجارة شخصاً قوياً من أهلها معروفاً وهو (صالح الحسين أبا الخيل) وقد وقفنا على عدة وثائق تدل على ذلك غير هذه.

والمراد بالتالي هنا الأخير، وليس الذي يتلو غيره.

ومن الألفاظ الواردة في هذه الوثيقة لافتة للنظر قوله (الفطر التالي) وهو شهر ذي القعدة إذْ كانت العامة في القديم الذي أدركناه تسمي شهر شوال الفطر الأول وتسمي شهر ذي القعدة (الفطر التالي) وتسميهما معاً الأفطار.

و(شهر عاشور) الذي هو شهر محرم كان الناس يسمونه (شهر عاشور) وقد أوردت الشواهد الشعرية العامية على ذلك في (معجم الألفاظ العامية).

* * *

ووثيقة ثالثة:

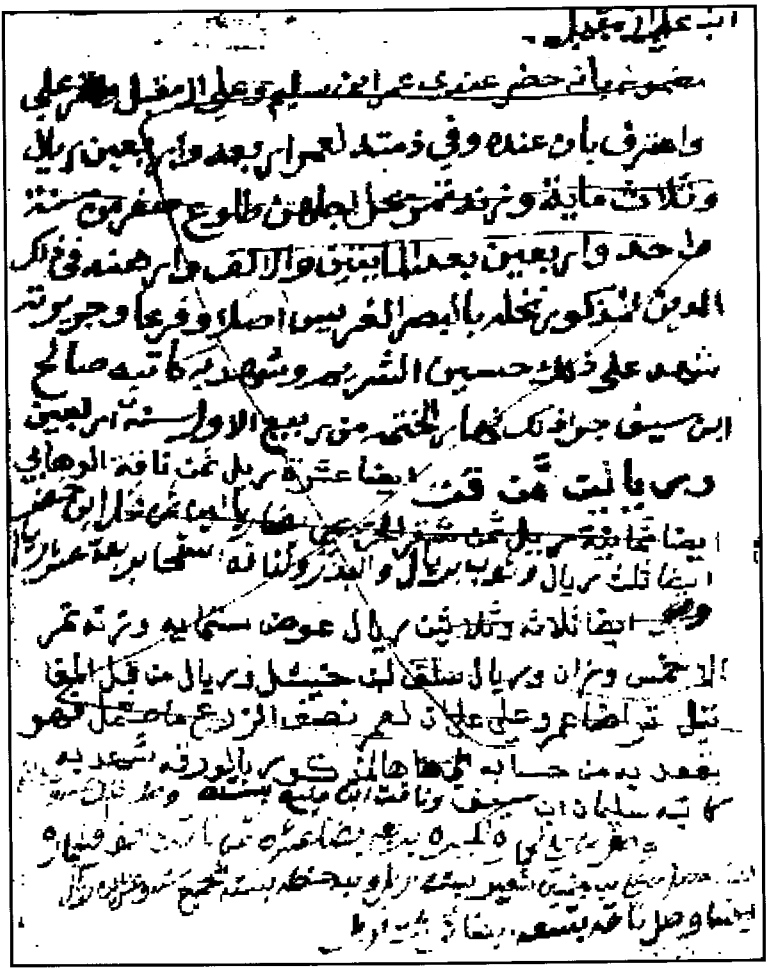

وهذه وثيقة أخرى كتبها صالح بن سيف مؤرخة في العشرين من ربيع الأول عام ١٢٤٠هـ ولم يذكر في آخرها القرن التي هي فيه وهو القرن الثالث عشر اعتماداً على أنه ذكره عندما نص على حلول أجل الدين، مع أننا رأيناه في كثير من الوثائق التي كتبها بخطه الجميل لا يذكر القرن اعتماداً على كونه معروفاً، وكان ذلك أيضاً لاستبعاده أن تقرأ تلك الوثائق في قرن أو قرون آتية بعد ذلك القرن.

وتتضمن الوثيقة بأن (علي المقبل) استدان من عمر بن سليم وهو عمر بن عبدالعزيز أول من جاء من آل سليم إلى بريدة دينا يحل في عام ١٢٤٠ وأرهنه بذلك نخله بالبُصرُ، وبذلك عرفنا أنها أسرة المقبل التي منها المشايخ الشيخ سليمان بن علي المقبل أشهر قضاة بريدة في تلك العصور وابن أخيه الشيخ محمد المقبل قاضي البكيرية وكلاهما تولى القضاء بعد هذه الوثيقة بزمن.

والشاهدان هما حسين الشريم وهو من أسرة (الشريم) الواردة في الوثائق ولا أعرف عنها شيئاً الآن بمعنى أنني لا أعرف من أفرادها الآن، والكاتب نفسه صالح بن سيف هو الشاهد الثاني.

ونلاحظ اصطلاحاً كان شائعاً استعمله (صالح بن سيف) وكان معروفاً فيما أدركناه وعقلناه وهو أن الناس كانوا يسمون اليوم العشرين من كل شهر (الختمة) هكذا بالتعريف، فـ(الختمة) من ربيع الأول المذكورة في الوثيقة تعني اليوم العشرين منه، ولا تعني ختام الشهر كما قد يتبادر إلى ذهن من لا يعرف ذلك الاصطلاح.

* * *

ووثيقة رابعة:

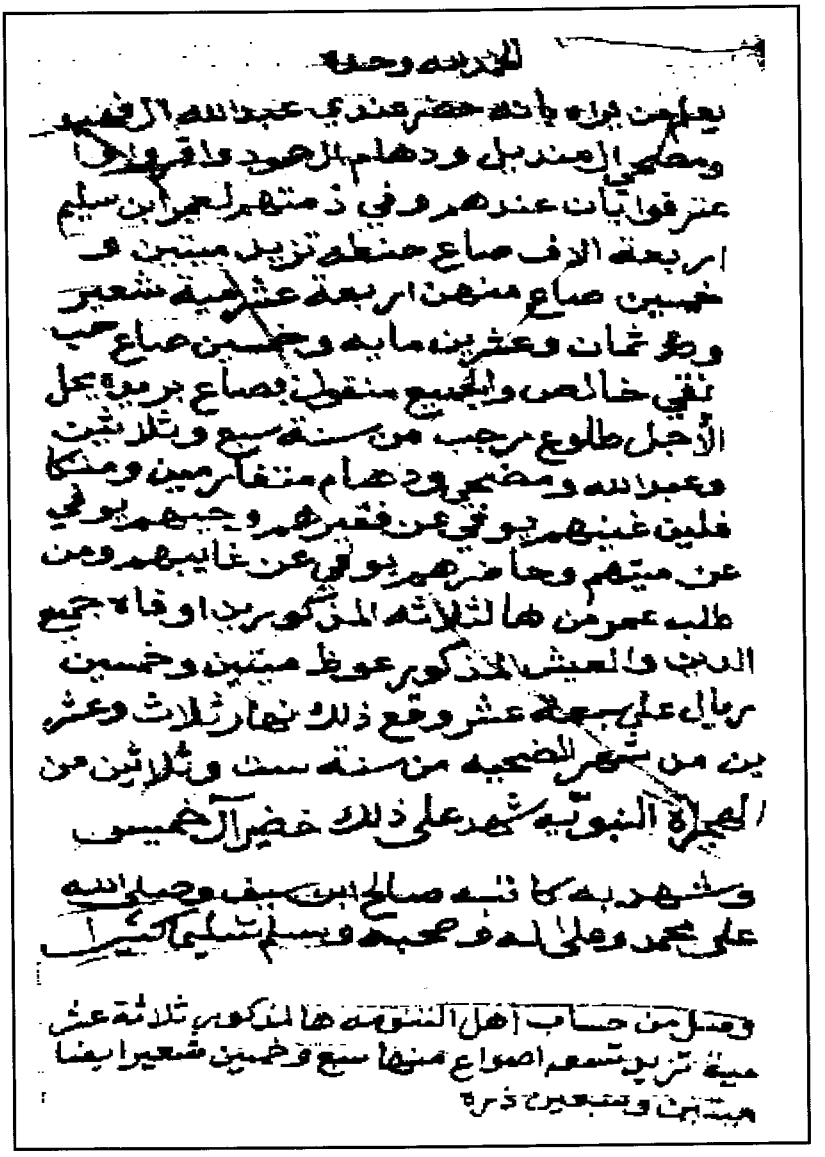

هذه الوثيقة الرابعة مهمة جداً في عصرنا لأن الدين الذي تضمنته كثير جداً بالنسبة إلى ثروات الناس وإلى إنتاج المزارعين والفلاحين في تلك العصور.

وتتلخص في أن الثري الشهير في وقته وهو عمر بن عبدالعزيز آل سليم أول من سكن بريدة من أسرة (السليم) قادماً من الدرعية، قد دَيَّن ثلاثة من أهل الأسياح وهم عبدالله آل فهيد ومضحي آل منديل، ودهام آل حمود ديناً يترتب عليه دفع مبلغ ضخم هو أربعة آلاف ومائتان وخمسون صاعاً من الحنطة ومنهن ١٤٠٠ (صاع) شعير ٢٨٥٠ حب أي قمح، نقي خالص والجميع منقول أي يورده المدينون للدائن عمر بن سليم في مستودعه في بريدة، ولذلك قال: منقول بصاع بريدة، ثم ذكر حلول أجل ذلك الدين أي وقت أن يجب الوفاء به إليه، بمعنى إعطائه إياه طلوع رجب والمراد انقضاء شهر رجب من عام (١٢٣٧هـ).

ثم ذكر شروط توثيق ذلك الدين وهي أن عبدالله ومضحي ودهام متغارمون بمعنى أن بعضهم يغرم ما قد يقصر به أحدهم أو اثنان منهم من الوفاء بذلك المبلغ من الدين الذي هو من الحبوب.

ولذلك قال: ومتكافلين غنيهم يوفي عن فقيرهم، وحاضرهم يوفي عن غائبهم، ثم زاد في توثيق الوفاء بالدين في قوله: ومن طَلَب عمر من ها الثلاثة المذكورين أوفاه جميع الدين.

ثم بين ثمن تلك الحبوب التي أسماها (العيش) وأنه مائتان وخمسون ريالاً على سبعة عشر، أي في كل ريال سبعة عشر صاعاً من الحبوب.

وتاريخها: نهار ثلاث وعشرين من شهر الضحية وهي شهر ذي الحجة من سنة ست وثلاثين (ومائتين وألف).

والشاهد فيها هو خضير الخميس، والكاتب صالح بن سيف.

* * *

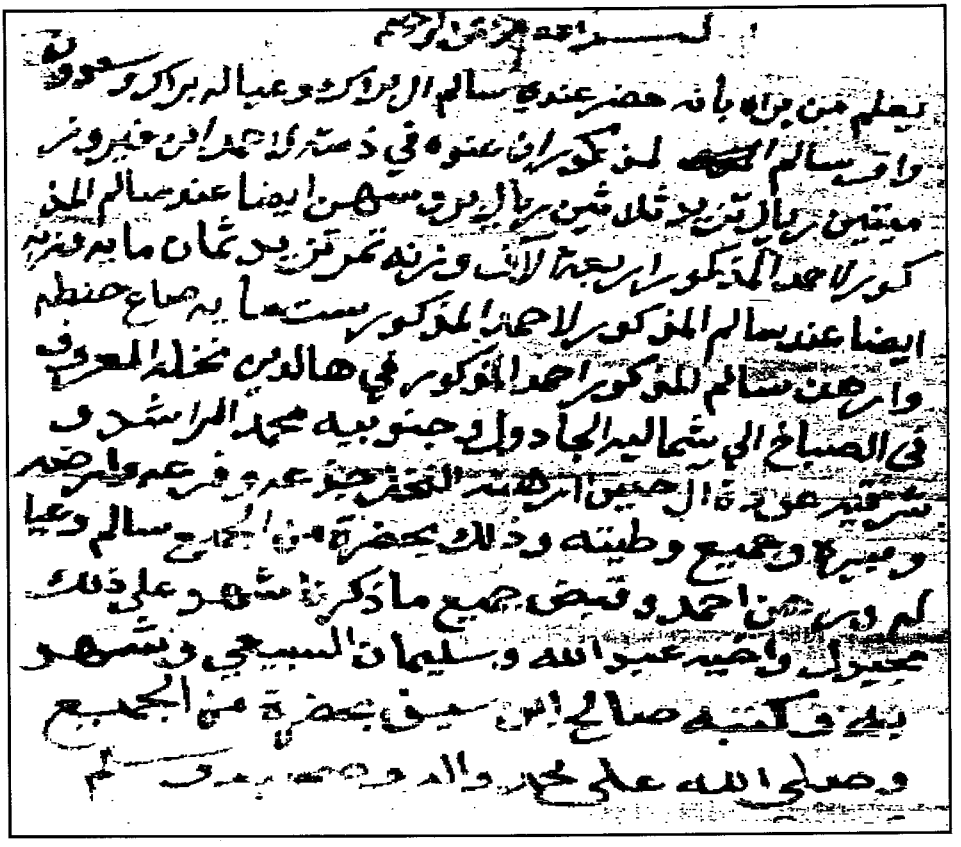

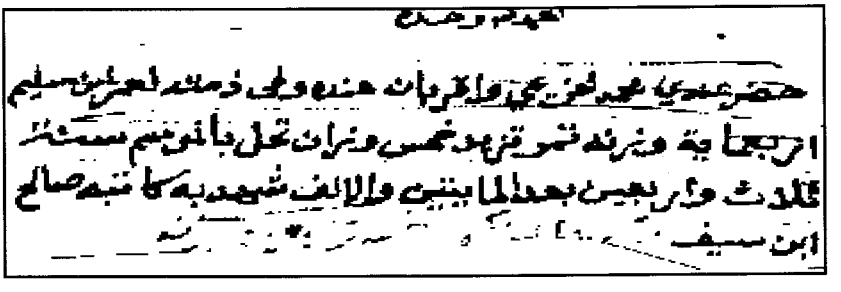

* * *

محمد بن سليمان بن سيف

محمد بن سليمان بن سيف كاتب من كتبة آل سيف كتب وثائق كثيرة، وإن كانت لا تقارن في الكثرة بما كتبه سليمان بن سيف وفي جمال الخط بما كتبه (الملا) عبدالمحسن بن سيف.

وقد رأيت أن أعرض هنا نماذج من كتابته من دون شرح لأكثرها أو تعليق لما جاء فيها، بغية الاختصار كما قدمت، وقد شرحت طائفة منها وأوضحت المقصود بها في كتاب: (معجم أسر بريدة)، عند الكلام على الأسر أو الأشخاص الذين ورد ذكرهم فيها.

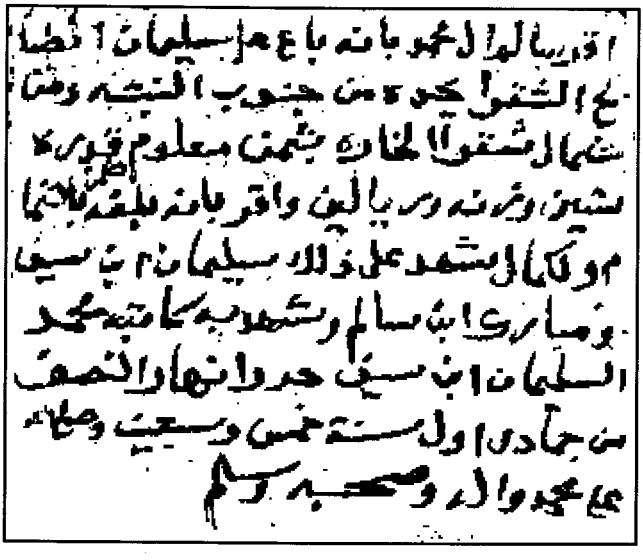

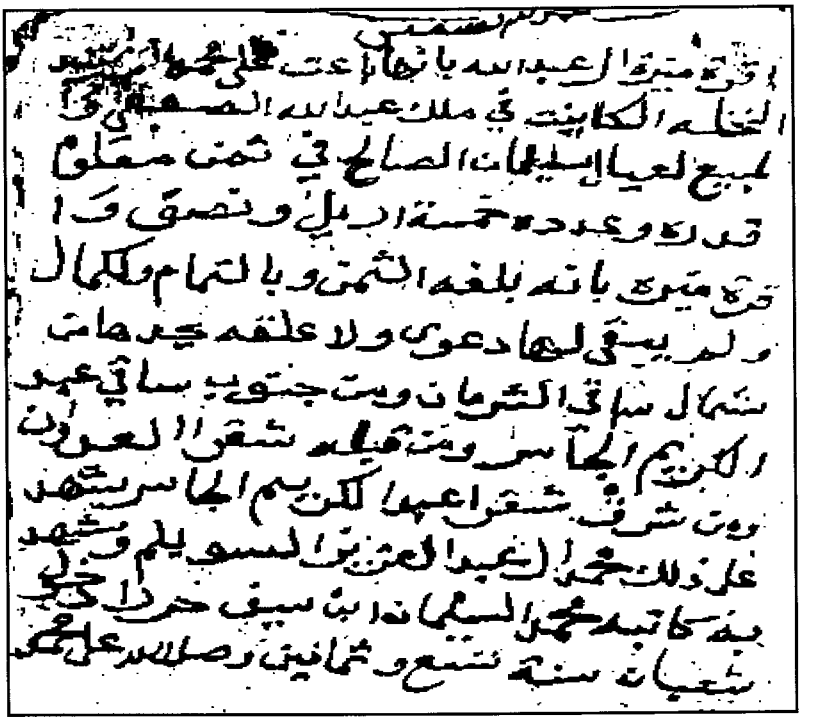

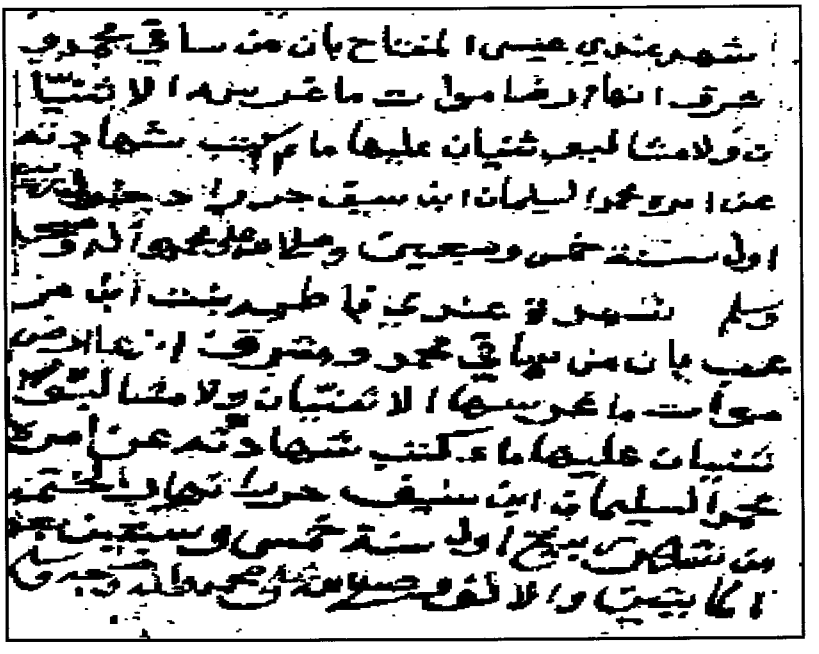

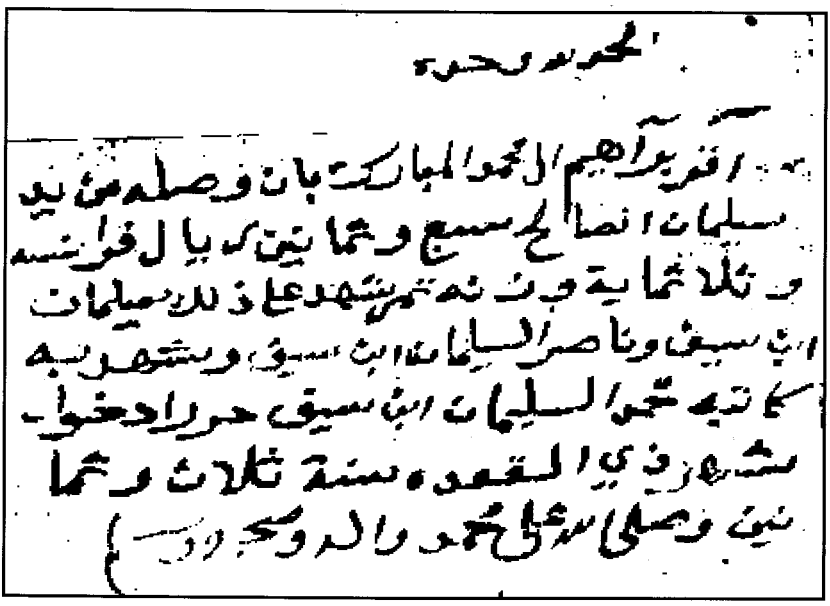

* * *

سليمان بن محمد بن سيف

من الكتبة البارزين الذين كتبوا آلاف الوثائق (سليمان بن سيف) هكذا كان يكتب اسمه اختصاراً ولا يذكر اسم والده محمد بن سيف لأنه فيما عرفناه أخ للملا عبدالمحسن بن سيف ومعاصر له، وذكره الملا بن سيف باسمه الكامل (سليمان بن محمد بن سيف) كما سيأتي، تدل على ذلك الوثائق العديدة التي وصلت إلينا وهو أكثر كتابة للوثائق والمعاملات من أخيه الملا، وما رأيت مثله مكثراً من كتابة الوثائق والمبايعات والوصايا إلا ابنه ناصر بن سليمان السيف الآتي ذكره.

وكان الناس يقصدونه لهذا الغرض حتى من الأماكن التي تقع خارجة عن مدينة بريدة من القرى والمزارع لأنه لا يكون لديهم كتبة مجيدون للكتابة ولو وجد فيهم من يحسن الكتابة فإنه لا يحسن الإملاء فيما يظهر، ماعدا طلبة العلم وهم قليل.

أما أسلوبه فإنه ليس كأسلوب أخيه عبدالمحسن: أسلوب الأدباء المتحذلقين، ولا أسلوب ابنه ناصر الذي هو أسلوب الفقهاء المتمرسين، بل هو أسلوب يمكن أن يوصف بأنه عامي فصيح.

إن الذي وقفت عليه من الوثائق والأوراق التي كتبها (سليمان بن سيف) لو جمع مجرد جمع من دون دراسة لوصل حجمه إلى مجلدات، فما بالك بتلك الدراسة التي لو أمكن القيام بها لتلك الوثائق والأوراق التي كتبها لكانت مجلدات ضخمة، ولأصبحت موسوعة قليلة النظير.

ولا عجب في ذلك فسليمان بن محمد بن سيف سلس الخط نشط في الكتابة فيما يظهر من أمره.

وقد أخبرني أستاذنا الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سليم أن (سليمان بن سيف) قد كتب مصحفاً بخطه، وأنه كان يقرأ القرآن منه، وقال: لقد رأيت ذلك المصحف، ولكنني لا أدري أين هو الآن.

فمن كتابات سليمان بن سيف هذه الوثيقة المؤرخة في السادس من ذي القعدة من عام ١٢٦٨ وتحتها وثيقة أخرى مؤرخة في ٥ من ربيع الأول عام ١٢٦٩هـ.

وتتضمن مبايعة اشترى فيها أخوه عبدالمحسن بن محمد السيف (الملا) نخلات من عبدالكريم بن زايد النغيمشي، وجاءت في آخرها شروط مشددة مفيدة للمشتري، ربما كانت من إملاء عبدالمحسن السيف وهو قوله (اشترى عبدالمحسن المبيع المذكور بجميع حقوقه وحدوده ومرافقه من أرض، وما يتعلق به من بئر وطريق وغيره) وذكر قبل ذلك في النخلات المذكورة بقوله (وهي معلومات بالحد والعَدِّ) أي بحدودهن التي ذكرها وبعددهن.

وشاهدا المبايعة ابنه أي ابن الكاتب محمد وهو طالب علم معروف بذلك والثاني: عبدالله بن علي الرشودي وهو رأس أسرة الرشودي أهل بريدة وأول من سكنها منهم جاء إليها من الشقه أو من أبلق، والأول أظهر، وجميع أسرة (الرشودي) هم من ذريته.

وتحتها وثيقة أخرى بخطه مؤرخة في الخامس من ربيع الأول عام ١٢٦٩ تتضمن ذكر نخلات اشتراها عبدالمحسن السيف- أيضاً- من مزنة بنت محمد بن غيث.

وفيها ذكر شاهد واحد مع الكاتب والشاهد هو دِخيل الحمود ودخيل بكسر الدال والخاء وإسكان الياء، ونعت بأنه راع السادة أي الساكن في قرية السادة التي تقع إلى الجنوب الشرقي من بريدة، وكانت منفصلة عنها في ذلك الوقت، وذكر (راع السادة) مفيد لأنه يوجد في بريدة أكثر من أسرة تسمى

(الدخيل) بكسر الدال والخاء إضافة إلى أسر تسمى الدخيل بفتح الدال وتشديد الياء على صيغة تصغير دخيل.

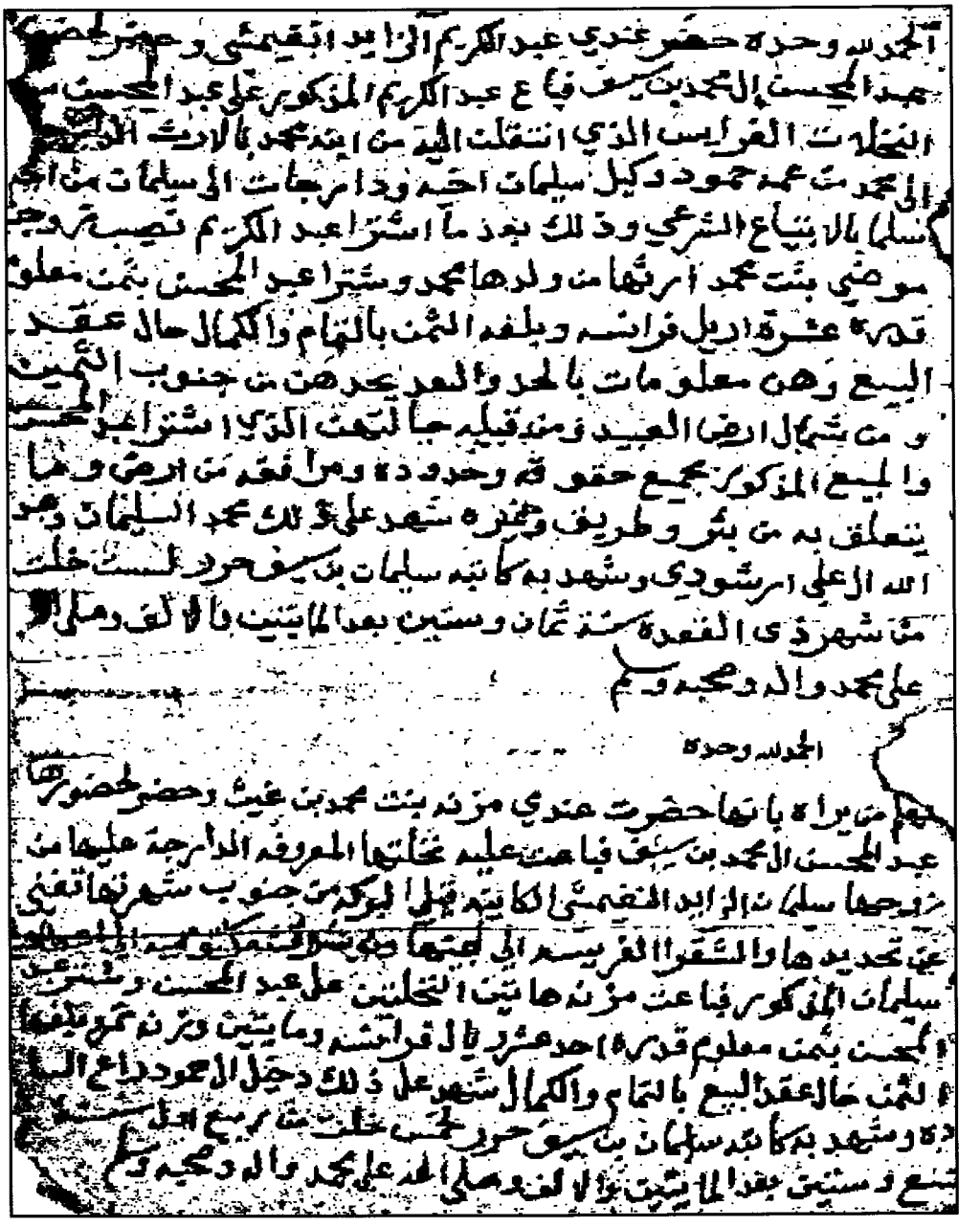

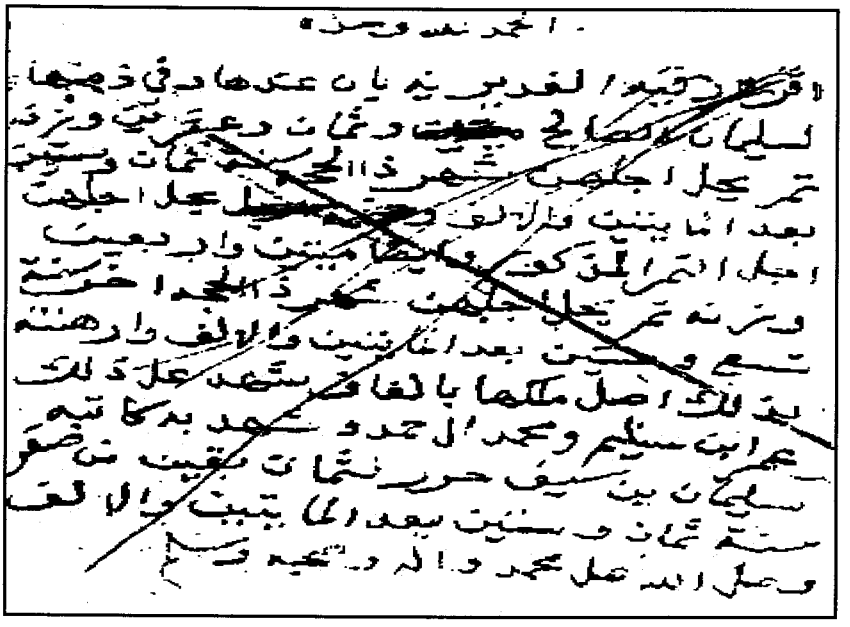

ودخيل الحمود المذكور هو جد الدخيل أهل السادة الذين يرجع نسبهم إلى (آل أبوعليان) حكام بريدة السابقين، و آل دخيل هؤلاء هم من الجانب الذي يتزعمه الدريبي الذي يخاصم الجانب الآخر وهم (آل حسن) الذين منهم حجيلان بن حمد الأمير المشهور.

ووثيقة أخرى مؤرخة في ثمان بقين من شهر صفر عام ١٢٦٨هـ والمراد بالثمان التي بقيت من شهر صفر هو اليوم الثاني والعشرون من شهر صفر.

ومن حسنات كتابات سليمان بن سيف أنه يكتب التاريخ بالحروف وليس بالأرقام لذا يكون واضحاً حتى ولو انطمست منه كلمة أو لفظة، بخلاف ما إذا كتب بالأرقام فإنه يكون معرضاً للطمس وعدم الفهم.

وتتضمن هذه الوثيقة الإقرار بدين لسليمان الصالح على رقية الغديرية، وسليمان الصالح هو سليمان بن صالح آل سالم، من (السالم) الأسرة الكبيرة

الذين هم من أهل بريدة القدماء، بل كانوا موجودين في منطقتها قبل أن تصبح بلدة متميزة، وقد تفرعت إلى فروع تغيرت أسماؤها، ولكن لا تزال جماعة منهم تسمى باسمها القديم (السالم).

وأما سليمان الصالح السالم المذكور فإنه ثري له أملاك كثيرة لا تزال معروفة مثل (غنامة) التي بيعت من تركته بعد موته على (غنام العلي) فنسبت إلى غنام وبجانبها من جهة الشرق أرض واسعة في النقع لا تزال على ملك المذكور رغم مضي نحو ١٥٠ سنة على وفاته لصعوبة حصر ورثته، وهي التي تعرف باسم (مصلى العيد) في النقع، لأن صلاة العيدين تقام فيها الآن.

ولا نعرف عن (رقية الغديرية) المذكورة في الوثيقة شيئاً يستحق الذكر، ولكن ربما كانت من الغذيّر أهل النبقية.

وأما الشاهدان فإن أحدهما هو (عمر بن سليم) وهو عمر بن عبدالعزيز بن سليم أول من جاء من آل سليم إلى بريدة قادماً من الدرعية في عام ١٢٣٣ أي قبيل احتلال الدرعية، وكان معه مال عظيم، لأنه كان ثرياً معروفاً حتى أن (صالح بن حسين أبا الخيل) والد مهنا الصالح أمير بريدة كان يعامله ويستدين منه ويشاركه في بعض الأحيان عندما كان عمر لا يزال في الدرعية ولذلك كان عمر بن سليم عندما جاء غريباً إلى بريدة يشترك مع صالح الحسين في تديين بعض الفلاحين أي عقد الدين لهما على الفلاح ولدينا وثائق عديدة تدل على ذلك ليس هذا موضع ذكرها.

وقد قلنا: إن عمر بن سليم هذا هو أول من جاء إلى بريدة من آل سليم، ولم نقل إنه رأس أسرة آل سليم، لأن فرعين من أبناء عمومته آل سليم جاءا إلى بريدة بعده وهما فرع آل صالح الذين منهم قاضي بريدة الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وابناه عبدالله وعمر وكلاهما تولى القضاء فيها.

أما ذرية عمر بن سليم هذا فأشهرهم ابنه الشيخ محمد بن عمر بن سليم، وهو من أشهر علماء القصيم في وقته، وابن حفيده أستاذنا عبدالله بن إبراهيم السليم الذي كان أول من تولى إدارة مدرسة حكومية في بريدة، وذلك في عام ١٣٥٧ ثم صار مديراً للمدرسة الأهلية في الرياض ثم مديراً لمعهد المعلمين في بريدة.

أما الشاهد الثاني في الوثيقة وهو محمد آل حمد فالسياق يدل على أنه من آل سليم كالشاهد الأول، لأنه ليس من عادة الكتبة من آل سيف أن تكون أسماء الشهود عندهم مبهمة.

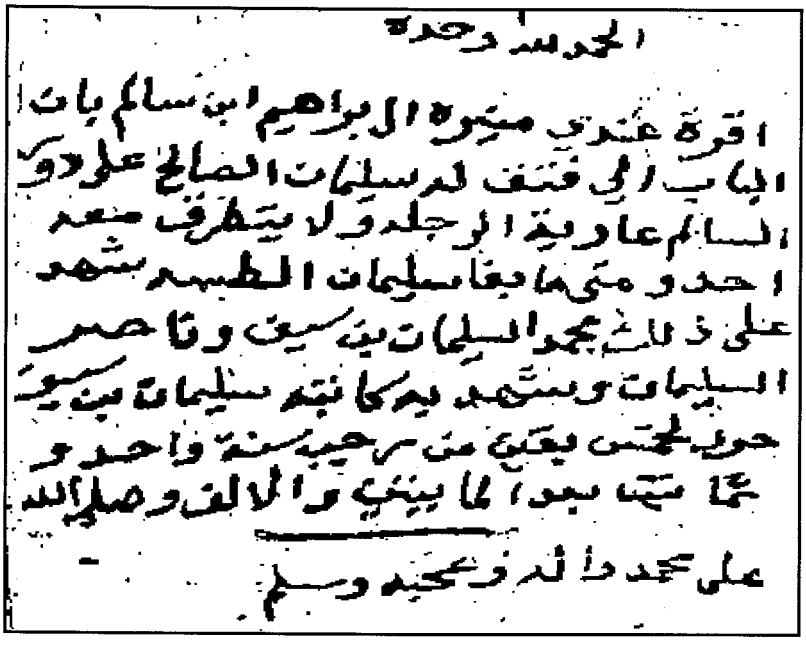

وهذه الوثيقة لا خطر لها في حد ذاتها ، وإنما كتبت تلافياً لإشكال قد يحدث.

وتتضمن إقرار سليمان الصالح (السالم) بأن الباب الذي فتحه وقالت الوثيقة فتقه لهذا المعنى هو عارية أي مؤقت إذا طلب منه أهل دور السالم

المذكورة أن يسده سده، وهذا معنى عارية الباب أمثاله، لأن المراد به المدخل الذي يدخل منه وليس ذلك الباب من الخشب الذي يوضع عليه، واشترطوا عليه أنه يتطرق منه ولا يتطرق منه أحد غيره، إلا أن الخيار هو لسليمان إذا أراد لطسه أي سده، فعل فأصبح غير موجود.

وتفيدنا هذه الوثيقة فائدة تاريخية كانت معروفة لنا من التاريخ الشفهي وهو أنه كان للسالم مكان معين في بريدة واقع إلى الجنوب من قبة رشيد القديمة، وقد دخل الآن في السوق المركزي الذي هدمت لأجله البيوت القديمة ويقع في الشمال منه، وتسمى (جورة السالم) بمعنى محلة السالم أو حارة السالم، مع أن الذي حدثنا به أشياخ منهم أدركوا أشياخاً قبلهم وصفوها بأنها أشبه بالشارع الذي تفتح عليه دور آل سالم لا يخالطهم غيرهم ولهذا الشارع بابان محصنان أحدهما في بداية الشارع والآخر في نهايته يغلقان في الليل وفي أوقات الخوف.

أما شاهدا الوثيقة فهما أبنا الكاتب محمد وناصر.

وهذه الوثيقة مؤرخة في الخامس والعشرين من رجب عام ١٢٨١هـ.

وطرفا الوثيقة كلاهما من آل سالم، مع أن منيرة بنت إبراهيم بن سالم تتكلم بالنيابة عن عدد منهم كما هو ظاهر.

* * *

وهذه وثيقة أخرى تتضمن أن سليمان الصالح ابن سالم وهنا صرح بأنه من آل سالم ويريد بقوله: ابن سالم أنه من آل سالم، وليس لأن جده الأدنى والد والده اسمه سالم قد اشترى من دوخي الروق حصة كان يملكها في قليب في النقع التي تقع شرقي بريدة وقد أصبحت الآن محلة تعرف بالنقع القبلية أي

الأولى مما يلي بريدة وتسمى تلك القليب الحلو، أي ذات الماء العذب، وعذوبته نسبية فليس خالص العذوبة كما هو معروف.

والمراد بالقليب هنا ليس مجرد البئر المحفورة في الأرض، وإنما هي مساحة من الأرض الزراعية تسقى من ماء القليب المذكورة.

وهذه هي طبيعة النقع التي أدركناها عليه قبل نحو ٦٠ سنة أنها آبار تزرع في الشتاء قمحاً أو شعيراً وتزرع في القيظ ذرة أو دخناً، وليست فيها بساتين نخيل كما في الخُبوب مثلاً.

ودوخي بن روق هو من الدوخي الذي تفرعت منهم أسرة المديفر، وهم والروق أسرة واحدة، وكان اسم المديفر (الدوخي) حتى قرب نهاية القرن الثالث عشر حين لقب جدهم بلقب مديفر فلحقهم لقبه منذ ذلك الوقت فصاروا يسمون المديفر، وبقي أبناء عمهم الذين يجتمعون به قبل ذلك يسمون الدوخي حتى الآن.

هذا وقد توفي (مديفر) الذي هو أول من لقب بهذا اللقب في عام ١٣٠٠ تقريباً، أما محمد الزيد الذي ورد اسمه في حدود المبيع وهو أحد الشاهدين فإنه من (الزيد) الذي تفرعوا من أسرة السالم الكبيرة المذكورة قبله، وهم أسلاف (العضيب) الذين منهم النائب الوجيه عبدالله بن موسى العضيب نائب السوق الذي فيه البيع والشراء في بريدة لمدة طويلة وابنه موسى كان مدير المعهد العلمي في بريدة ثم نائب رئيس مجلس الإدارة لشركة أسمنت القصيم حتى وفاته في رجب عام ١٤٤٧هـ.

فجد أسرة العضيب هو موسى بن زيد بن مبارك (آل سالم).

وأما الشاهد الثاني فيها فهو محمد آل حمد بن دهَيِّم، والدهيم: أسلاف أسرة (الجاسر) الكبيرة المشهورة في بريدة كان يقال لهم الدهَيِّم ثم صار يقال لهم (الجاسر) بسبب جاسر بن منصور بن دْهَيِّم.

على أننا لا نستطيع الجزم بأن محمد بن حمد الدهيم هذا من آل جاسر لأن أبناء عم الجاسر من الدْهَيِّم استمروا يعرفون بهذا الاسم الدَهَيِّم إلى وقت غير بعيد.

كما تفرعت من الدهيم أسرة أخرى صغيرة يقال لهم (العضيب) وهم غير العضيب السالم الذين منهم الزيد المذكورون في الوثيقة كما هو ظاهر.

وهذه الوثيقة مؤرخة في اليوم العاشر من جمادى الأولى عام ١٢٦٧هـ.

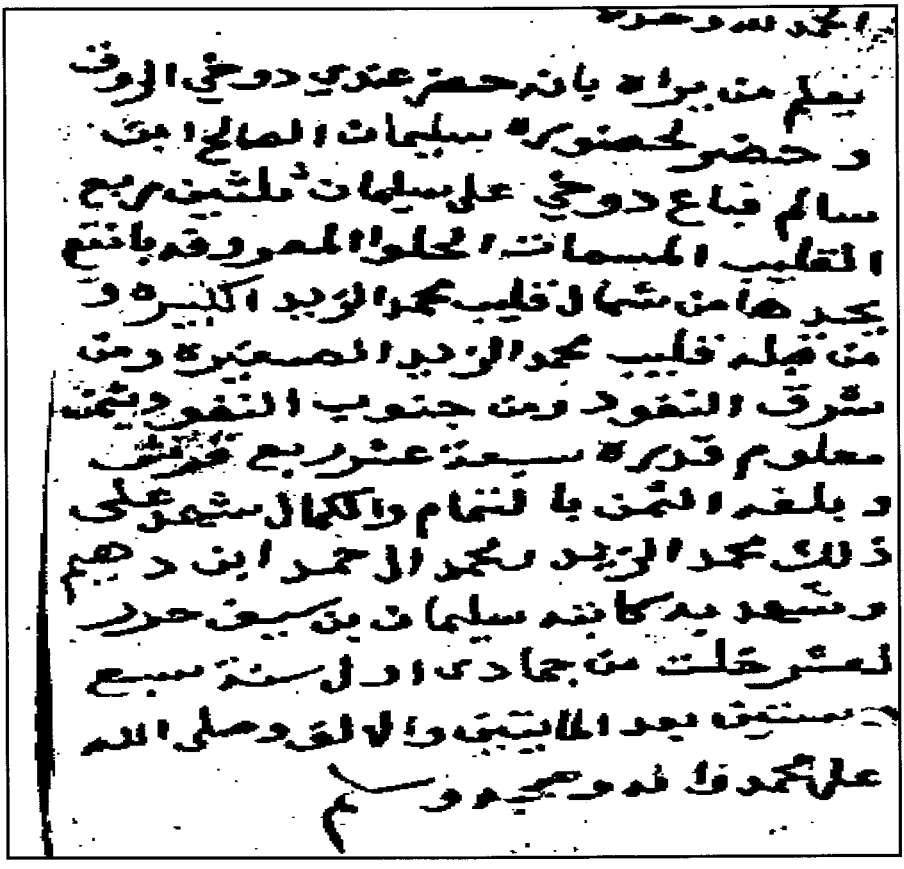

ووثائق أخرى كثيرة لم أر حذفها لأن بعضها يشتمل على ذكر أسر أو أشخاص من أسر لا توجد أسماؤهم مسجلة في غيرها، وقد تكلمت على بعضها أو أكثرها في (معجم أسر بريدة) وإثباتها هنا من باب زيادة الفائدة.

شهدا عند محمد آل الحجر ابن جاسر وعبد الله الخضيرات
شيبان بان رقيه بنت محمد آل مبارك اوصت بثلث ما
ورثها لها باعمال البر وكلت عليه خالها عبد
المحسن ابن سيف آل مبارك وشد اخوها ابراهيم و
من الثلث لها حجه ولابيها حجه كل حجه بشعشر ريال
ومن الثلث قرشد ومصحف بثلاثة ريال وقد
رها المعروف الى يكب صاع مسبلته فان اعتازه
امها او جده او اخوانها واختها وخالهم عبد المحسن
فيا كلون ولا حرج عليهم هكذا اشهد الشاهدان
المذكوران كتب شهادتهم عن امرهم سليمان
بن سيف حرر لشعشر خلت من شوال سنة
ثمان وستين بعد المايتين والالف وصلى الله على
محمد واله وصحبه وسلم وفي شهادتهما ان راعي
المحسن ان النخل اصلح فيجعل النخل من الثلث

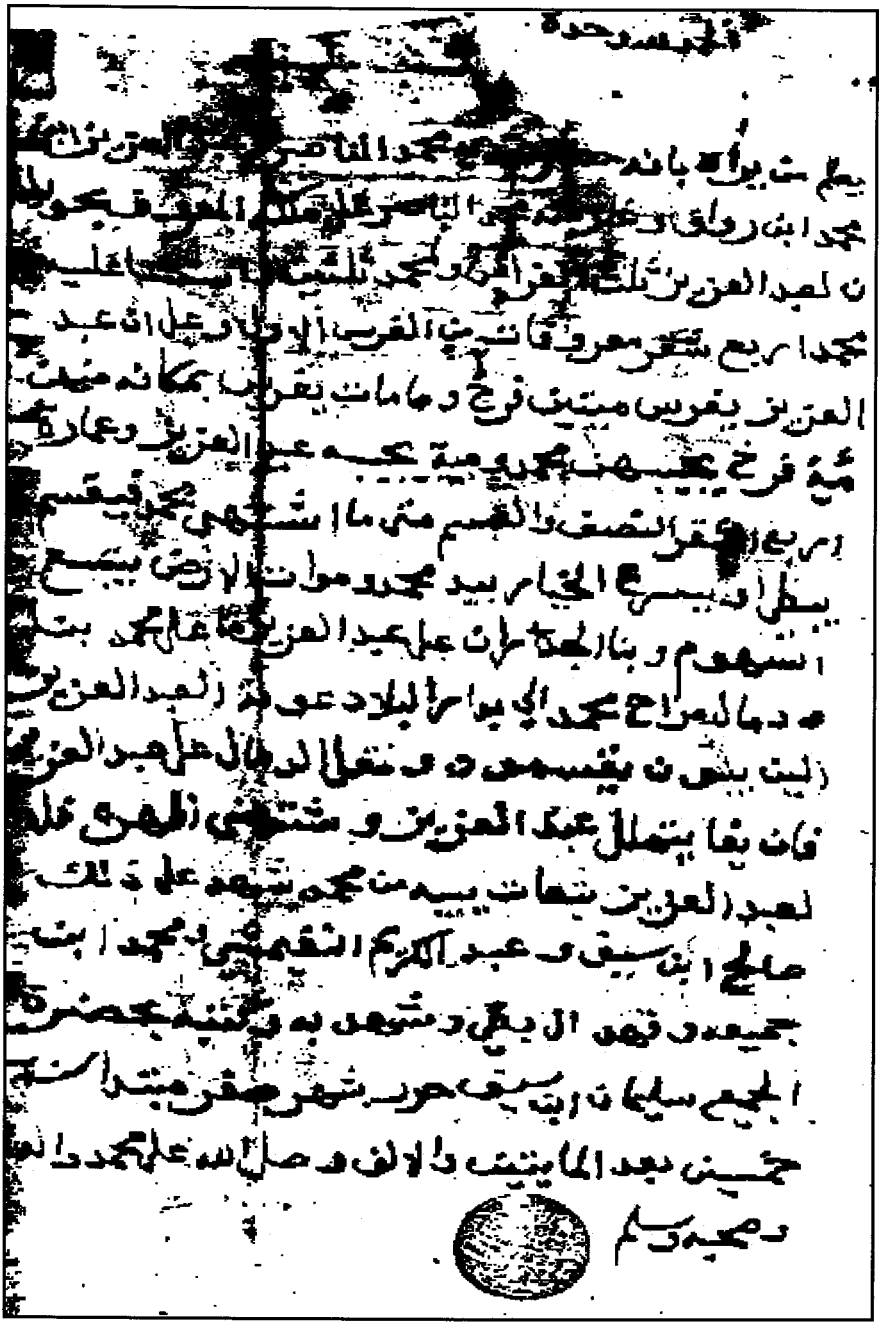

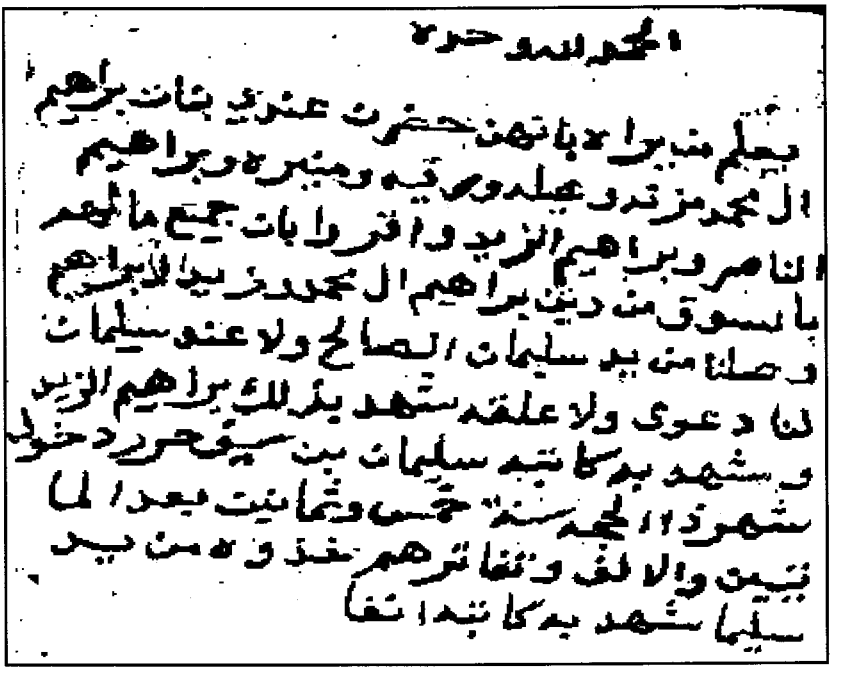
الحمد لله وحده
يعلم من براءة بانهن حضرن عند بنات براهيم
ال محمد من تدوعيله وصيته ومنبره وبراهيم
الناصر وبراهيم الزيد وافتراءات جميع ما لهم
باسوق من دين براهيم ال محمد وزيد ابراهيم
وصلنا من يد سليمان الصالح ولا عند سليمان
لنا دعوى ولا علقه شهد بذلك براهيم الزيد
وشهد به كاتبه سليمان بن سيف حرر دخول
شهر ذا الحجه سنه خمس وثمانين بعد الما
تين والالف وثقا ترهم خذ وه من يد
سليما شهد به كاتبه انتها

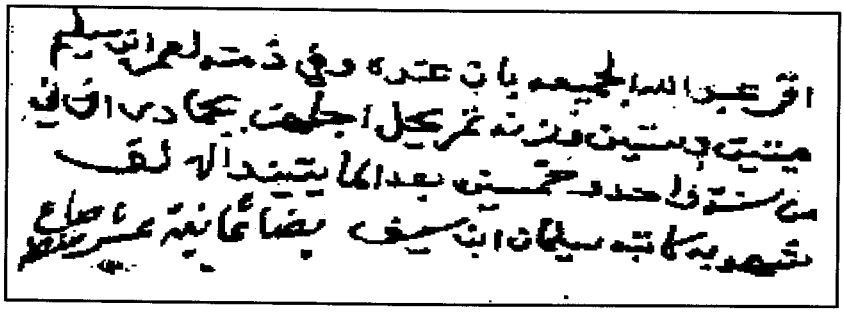

اقر عبد الله الجميعه بان عنده وفي ذمته لعمر ابن سليم
مئتين وستين قرشا ثم يكمل الجمعه بعد ان اتاني
من سنة واحد وخمسين بعد الما يتيسر الله لقد
شهد به كاتبه سليمان ابن سيف بصفا عاينه عمر سلطان

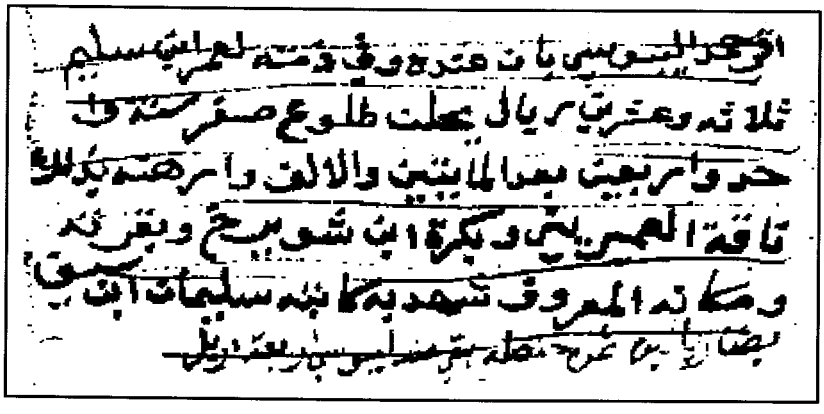

اقر عبد الله بن عنده وفي ذمته لعمر ابن سليم
ثلاثه وعشرين ريال يحلت طلوع صفر سنة ف
حدى واربعين بعد المايتين والالف وارهنه بذلك
ناقة العمريتين وبكرة ابن شويرخ وبقرته
ومكانه المعروف تشهد به كاتبه سليمان ابن سيف
بصفا وبما شرح مقابله بمر عمر بن سليم بن عمر ريل

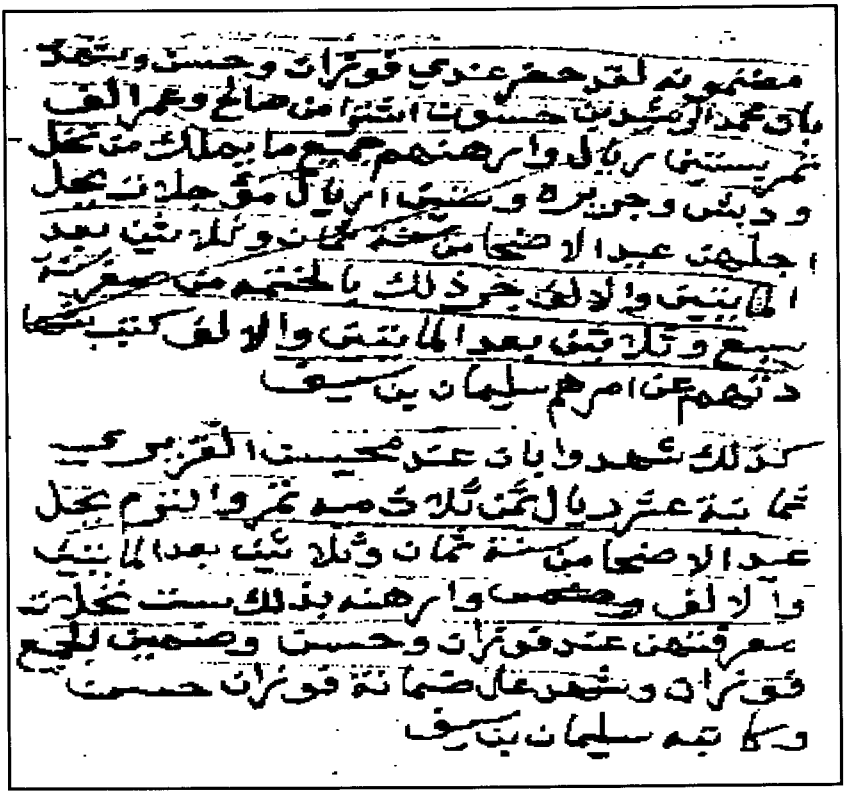

مضمونه لقد حضر عندي فورزان وحسن وبتعهد
بان محمد ابن عبد بن حسون اشترا من صالح وعمر الف
ثمر بستين رطل وارهنهم جميع ما يملك من نخل
و دبس وجن بره وضيعه ارطال مؤجلات نخل
اجلهن عيد الاضحا من سنة ثمان وثلاثين بعد
المايتين والالف بخر ذلك بالختم من صغره
سبع وثلاثين بعد المايتين والالف كتب بشها
دتهم عن امرهم سليمان بن سيف

كذلك شهد وبان عند محيسن العزبي
ثمانية عشر رطل ثمن ثلاث صيعان تمر والتزم بحل
عيد الاضحا من سنة ثمان وثلاثين بعد المايتين
والالف وضمن وارهنه بذلك ست نخلات
معرفتهن عند فورزان وحسن وضمين للجميع
فورزان وشهد على ضمانة فورزان حسن
وكاتبه سليمان بن سيف

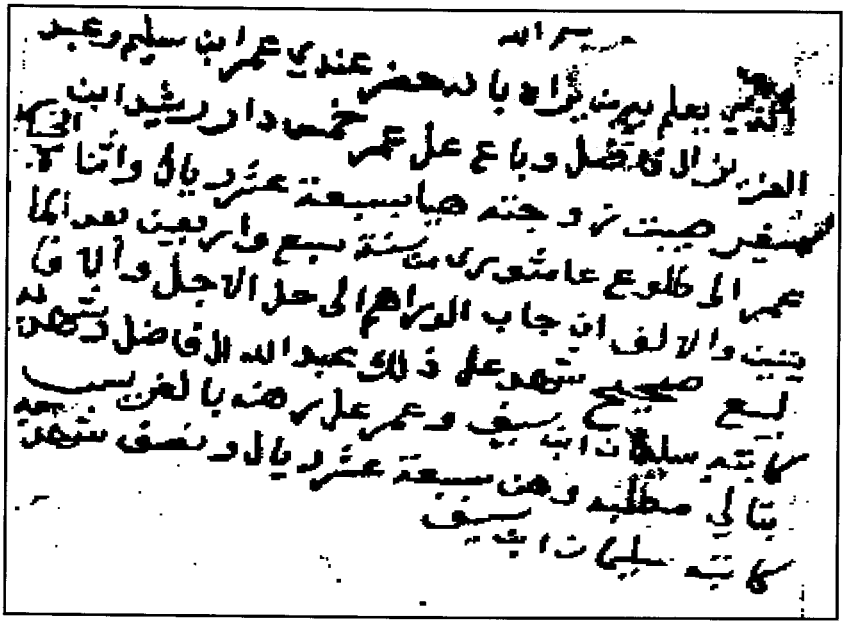

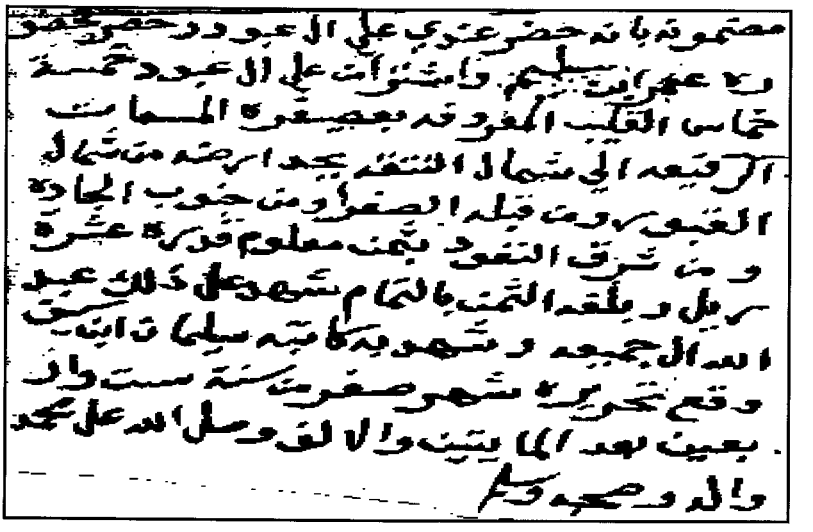

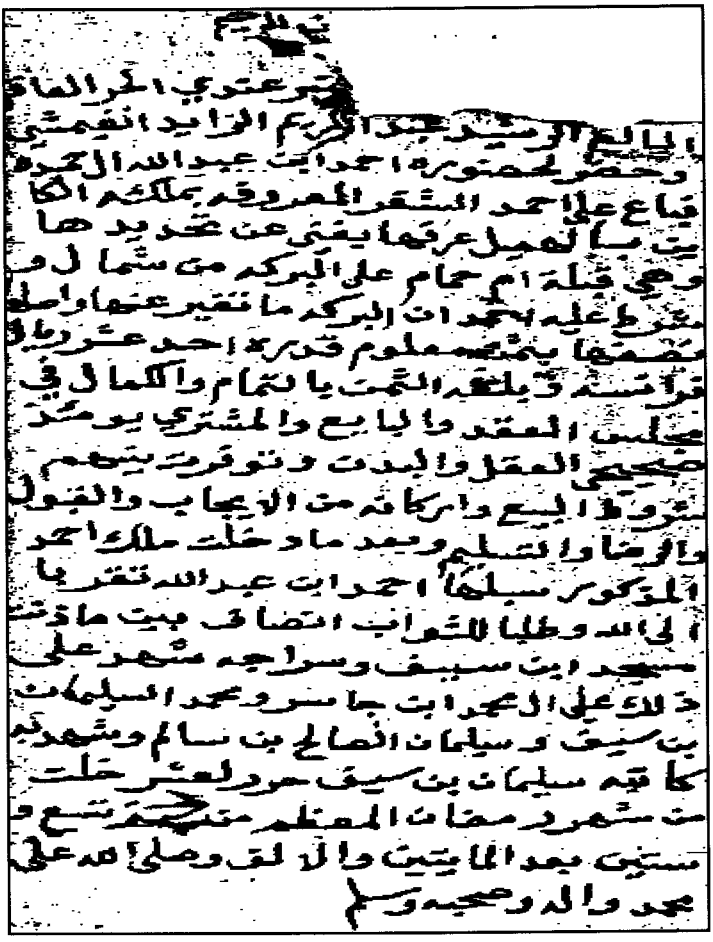

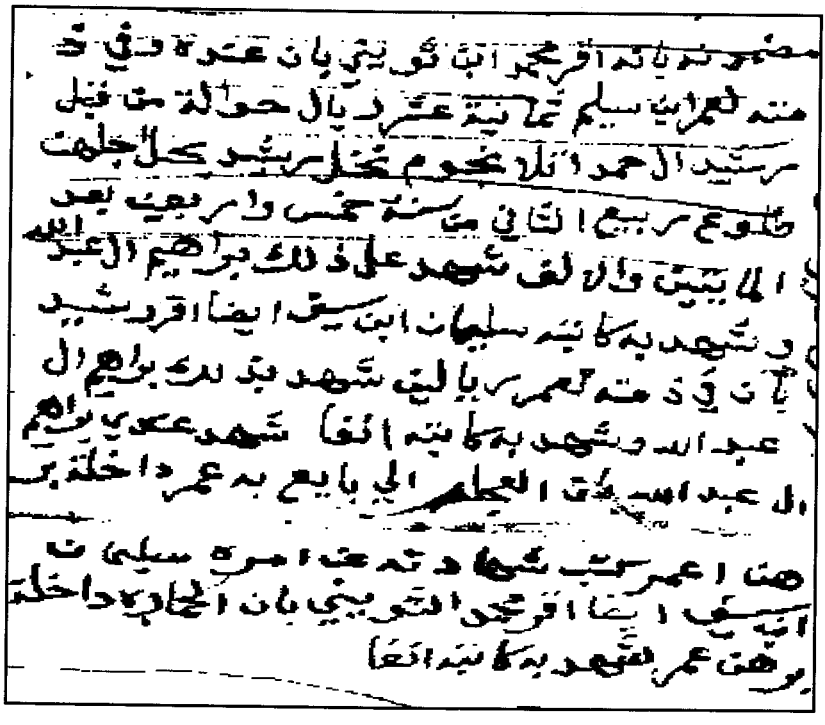

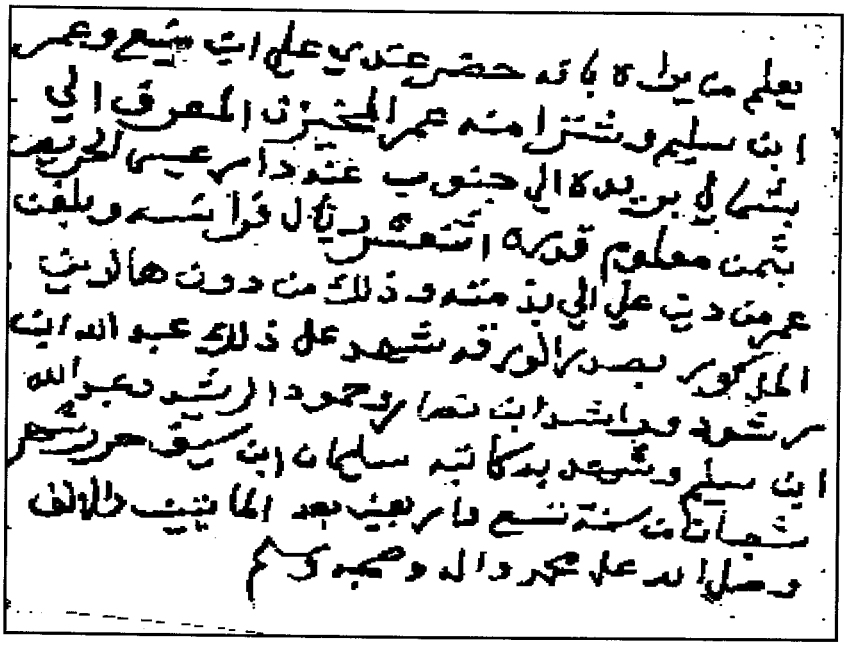

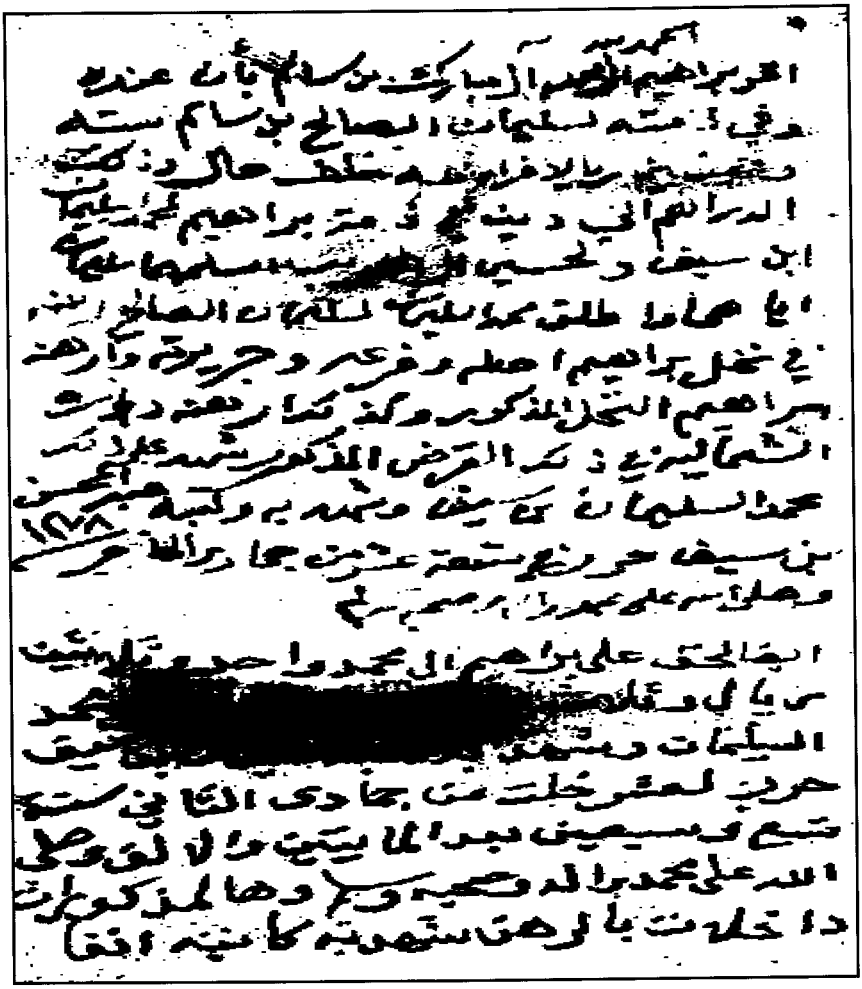

الحمد لله وحده

يعلم من يراه يا تها حضرت عند ي طرفه
بنت محمد وحصة لحمتورها سليمان ابن
الحاج ابن سالم فباعت عليه دارها المعروفة
الي شرقي محمد المبارك بحدها من
شمال الشرق القائم ومن شرقها عليه
ومن جنوب دار محمد المبارك ومن قبلة
دار امها والحسو انصاف بينهم يقطع
بحدار بينهم من الزرنوف الشرقي
الي الباب بثمن معلوم قدره ستة عشر
ريال وبلغها الثمن بالتمام في مجلس
العقد والبايع والمشتري يومئذ صحيح
العقل والبدن وتوفرت بينهم شروط
البيع واركانه من الايجاب والقبول
والرضا والتسليم شهد على ذلك خضر
الحبيب ومحمد الاعيد الله الشنقيطي

جن بوع وشاهد السليمان بن
سالم وشهد به كاتبه سليمان بن
سيف حرر لثنتي عشر مضت من شهر
ذا القعدة سنة ست وسبعين
بعد المايتين والالف وصلى الله على
محمد واله وصحبه وسلم

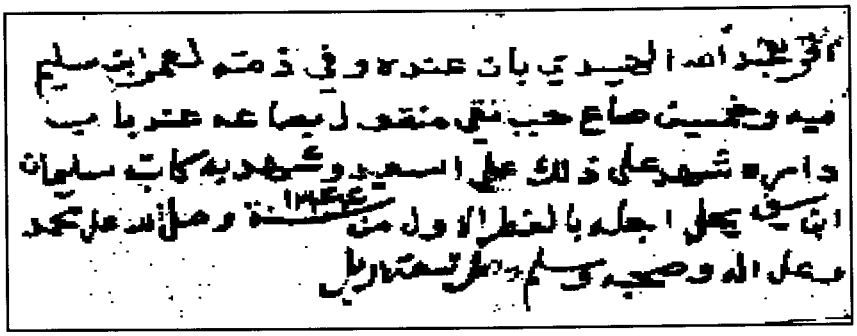

اقر عبد الله الحيدي بان عنده وفي ذمته لعمر بن سليم
فيه وخمسين صاع حب نقي منقول بيعا عنه عند بابه
داره شهد على ذلك على اسعيد وشهد به كاتبه سليمان
ابن سيف بحل اجله بالنظر الاول من سنة ١٣٦٥ وصلى الله على محمد
وعلى اله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل

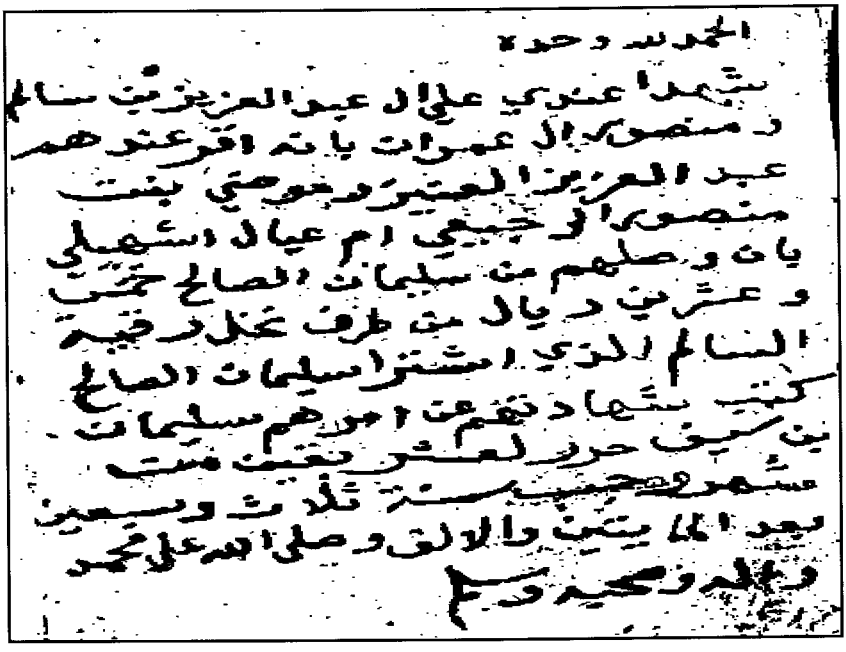

الحمد لله وحده
يشهد عندي علي ال عبد العزيز بن سالم
و منصور ال عمرات بانه اقر عندهم
عبد العزيز العتيق وهو صبي بنت
منصور ال جبيلي ام عيال اشعلي
بان وصلهم من سليمان الصالح خمس
و عشرين ريال من طرف نخل رضية
السالم الذي اشتراه سليمان الصالح
كتب بشهادتهم عن امرهم سليمان
بن سيف حرر لعشر بقين من
شهر رجب سنة ثلاث وسبعين
بعد الالفين والالف وصلى الله على محمد
وآله وصحبه وسلم

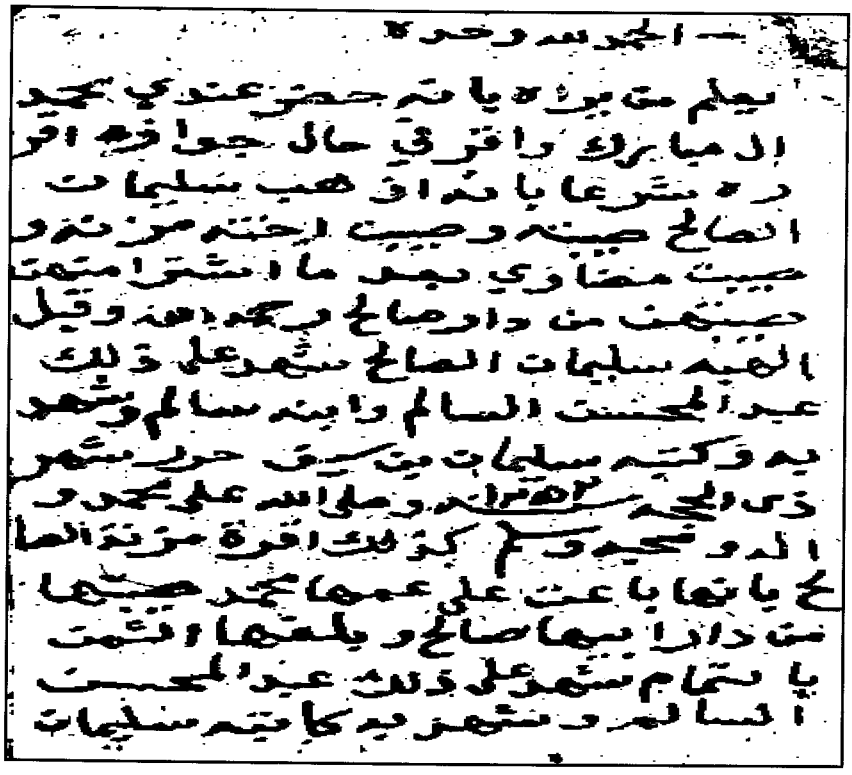

الحمد لله وحده

يعلم من يراه يا ناه حضر عندي بحمد
الله مبارك واقر في حال جواز ه اقر
ره شرعا يا ناه اني هب سليمان
الصالح صبيه وصبيت اخته مزنه و
صبيت مضاوي بنت ما اشترا منهن
صبيتهن من دار صالح ربحه الله وقبل
الهبه سليمان الصالح شهد على ذلك
عبد المحسن السالم وابنه سالم وشهد
به وكتبه سليمان بن سيف حرر شهر
ذي الحجه سنه ١٣٥٠ وصلى الله على محمد و
اله وصحبه وسلم كذلك اقرة مزنة الصا
لح بانها باعت على عمها محمد صبيها
من دار ابيها صالح وبلعها اثمنت
يا تمام شهد على ذلك عبد المحسن
السالم وشهد به كاتبه سليمان

عثمان بن محمد بن سيف

عثمان بن محمد بن سيف كاتب مقل من الكتابة، ومع ذلك وصلت إلينا نماذج لا بأس بها من حيث العدد والمقدار من كتاباته، وليست لدينا أخبار عنه، ولا ندري ما إذا كان ما يوحي به اسمه من أنه أخ للملا عبدالمحسن بن محمد بن سيف صحيح أم لا، لأن الأسماء تكررت في أسرة السيف هذه مثل كثير من الأسر غيرها.

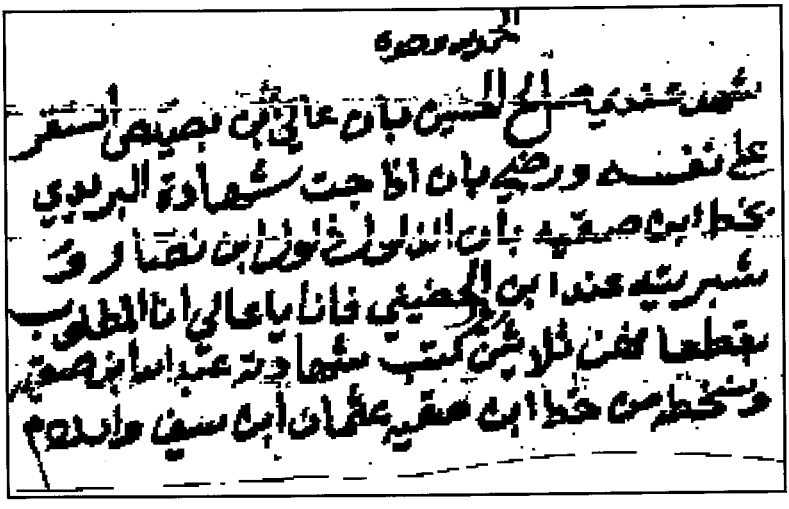

[illegible] ابن نصار بتوريد
الشربة [illegible] ابن الحضيني وقال
[illegible]
ابا عمر القصيرة وشهد عنده الشهود ان الاصل
الشربة عند ابن الحضيني وقال علي ابن بصيص
الوجان خط ابن صفيه او محمد العويصي
على ان البريدي يشهد بشهادة الشهود على ان
الاصل والشربة عند ابن الحضيني فمن بوجهي
انا يا عالي وعلى ذا امان الله يسود من سواده
ويبيض فيا صاحة ومقلوعة ثلاثين ريال
شهد على ذلك صلاح ابن قطنه وصالح الحسين
وعلي ابن سلم وشهد به وكتبه ناصر المنقوري
ونسخة من خط ناصر المنقوري عثمان ابن سيف
كاتبه كاتبه وحرف بحرف والسلام

الحمد

يعلم من يراه بانه حضر عندي عبد الله البريدي
وشهد بان البيت الذي بلس ببناءه بذكران ذلك
ابن مختار الزرقا الخربا والشربة المختصة
عند فحص ابن الحضيني وانه عقيد الربح الي الحد
ابا عمر البريدي كتب بشهادته عبد الله ابن صفيه
وصلى الله على محمد وآله وسلم نسخة عثمان ابن سيف من
خط ابن صفيه كاتبه بخطه وحرف بحرف

ناصر السليمان بن سيف

ناصر بن سليمان بن سيف يكتب اسمه ناصر السليمان بن سيف فيقيم (أل) مقام ابن، خلاف ما كان معظم طلبة العلم في بريدة الذين يكتبون بدلاً منها (آل) فناصر بن سليمان يكتبونها (ناصر آل سليمان) وهذا أمر فيه محذور من كون الاصطلاح القديم يجعل كلمة (آل) للأسرة فآل سليمان عندهم تكتب إذا كانت أسرة الرجل هم آل سليمان وليس والده ويقيسون ذلك على ما جاء في الحديث: (اللهم صَلِّ على محمد وآل محمد) ونعني هنا أهل بيت محمد.

وعلى أية حال فالموضوع موضوع اصطلاح، ولا مشاحة في الاصطلاح- كما يقول الأصوليون.

وقد تعمدت كتابتها عند نقلها كما يكتبها الكاتب المعني ناصر بن سليمان هكذا: ناصر السليمان.

فالرجل صار مشهوراً بهذا الاسم معروفاً به هو ووالده.

وليس خط (ناصر السليمان بن سيف) في الجودة كخط الملا عبدالمحسن بن محمد بن سيف إذا أريد بالجودة جمال الخط ووضوحه، أما إذا أريد بها ضبط العبارات الواردة في النص المكتوب، وكونها تؤدي المطلوب فإن (ناصر السليمان بن سيف) قد بلغ الشأو المطلوب في ذلك.

فخطه واضح العبارات، مستكمل الحروف سهل القراءة، خالٍ من التعقيد في السياق ومع ذلك هو واضح لمن يقرأه.

والغريب أنني لاحظت أنه على مدى الستين سنة من عمره التي كان يكتب فيها الوثائق والمبايعات والوصايا من عام ١٢٨١هـ تقريباً إلى عام ١٣٤١ وهو العام الذي توفي فيه لم أر تغيراً أو تطوراً حدث في كتابته، اللهم إلا شيئاً في تنسيق العبارة، وضبطها تتوافق مع العبارات الشرعية أو تنسجم معها فلا يكون فيها بعد عنها أو تنافر معها.

وهذا أمر طبيعي فالرجل ذو شخصية عملية مثقفة بالثقافة الدينية الموجودة في ذلك الزمن، ويظهر أنه استكمل تحسين خطه عندما استكمل، أو مضى في استكمال ثقافته على مدى السنين.

وهو شيخ بل عالم من العلماء، ولذلك نقل لنا أن قاضي بريدة كان يخلفه على القضاء إذا غاب وذكر لنا أن هذا حدث أكثر من مرة.

الشيء الذي وقعت عليه بنفسي أنه كان يصدق على كتابات الآخرين ومنهم علماء بأنها صحيحة ومقبولة فيأخذ القضاة قوله بالقبول.

والقول في كثرة الوثائق والأوراق المتعلقة بما كتبه ناصر بن سليمان السيف كالقول فيما كتبه الملا عبدالمحسن بن سيف من أن ذلك كثير، وإنني ترددت في نقله كله هنا لأنني إذا شرحت كل تلك الوثائق والمكاتبات طال الكتاب، الذي من طبيعته، أو مما رأيته له أن يكون مختصراً، وإذا تركت جزءاً منها لم أورده حرمت بعض قراء الكتاب ممن ورد لآبائهم أو أقاربهم أو لأسرهم ذكر في هذه الأوراق، وذلك أيضاً لشيء مهم آخر وهو أنني تكلمت على معظم تلك الوثائق في كتاب: (معجم أسر بريدة) مما يغني عن ذكر ذلك هنا، والله أعلم.

* * *

وهذه طائفة من كتابات ناصر بن سليمان السيف.

إن عادتي أن أنقل نص الوثيقة المخطوطة إلى حرف مطبعي تسهل قراءته على سائر القراء لأن معظمها خطوطها غير واضحة وبعضها تصعب قراءته على غير المختصين، أما في حالة (الملا ابن سيف) فإن الأمر مختلف لأن خطه واضح إلى درجة لا تحتاج قراءته إلى نقله بحروف مطبعية وإنما سأعلق على الوثائق التي تحتاج إلى تعليق عندما يأتي الكلام على خطه بإذن الله.

أما الوثائق التي بخط شخص آخر غير عبدالمحسن فإننا ننقل نصها بحروف الطباعة.

كهذه الوثيقة المختصرة التي دلالاتها العظيمة، وهي مختومة بختم أمير منطقة القصيم آنذاك صالح بن حسن بن مهنا مؤرخة في عام ١٣٢٣ أي بعد وقعة البكيرية بعدة أشهر.

ووقعة البكيرية موقعة حربية عظيمة بمقاييس الحروب في نجد، إذْ هي بين الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ومن معه من أهل القصيم الذين كانوا هم رأس الحربة في هذه الوقعة ولكن الملك عبدالعزيز كان معه غيرهم من أهل جنوب نجد ومن الأعراب، ومن الجهة الأخرى عبدالعزيز بن متعب بن رشيد ومن معه من أهل حائل وشمال نجد وبخاصة قبيلة شمر التي تملك من الخيل ما لا يملك مثله خصومها في هذه المعركة، ولم يكتف ابن رشيد بذلك، بل أحضر جنوداً نظاميين من جنود الحكومة التركية التي كانت تهمها هزيمة ابن سعود ومن معه ممن تسميهم الوهابيين حذراً منها من أن تنبعث الدولة السعودية من جديد كما كانت انبعثت وازدهرت في الماضي.

والواقعة منسوبة إلى بلدة البكيرية لكونها وقعت فيها وما حولها، وانجلت المعركة عن هزيمة ابن رشيد وانتصار ابن سعود وأهل القصيم وعلى رأسهم أمير القصيم صالح بن حسن المهنا الذي كان اتفق مع الملك عبدالعزيز في الكويت على أن يكونوا يداً واحدة ضد ابن رشيد شرط أن تعود لآل مهنا إمارة بريدة وما يتبعها من القصيم.

والمعنى الذي ترمز إليه هذه الوثيقة أن يستدين أمير القصيم آنذاك من ناصر بن سليمان السيف مبلغ عشرين ريالاً أخذ بها تمراً منه فراراً من الربا في تأجيل النقود، وأن هذا المبلغ خاص للمصالح العامة لذلك كان ديناً على بيت مال القصيم، ثم ذكر أنه لديه له أيضاً اثنى عشر ريالاً لم يذكر حالها وما إذا كانت على بيت المال أم هي على صالح نفسه.

وليس ذلك فحسب أي مجرد أخذ الدين من ناصر بن سيف، وإنما التفريق بين ما لأمير القصيم خاصة وما لبيت المال عامة.

والوثيقة أشبه ما تشبه خط ناصر السيف واكتسبت صفتها اللازمة من كون أمير القصيم ختمها بختمه المعروف المعتمد.

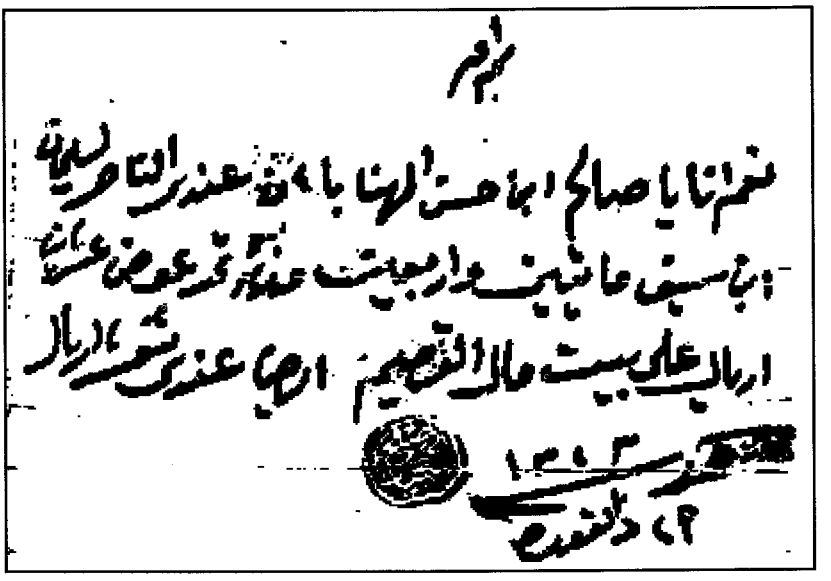

وهذه وثائق بخط ناصر بن سليمان السيف من دون شرح:

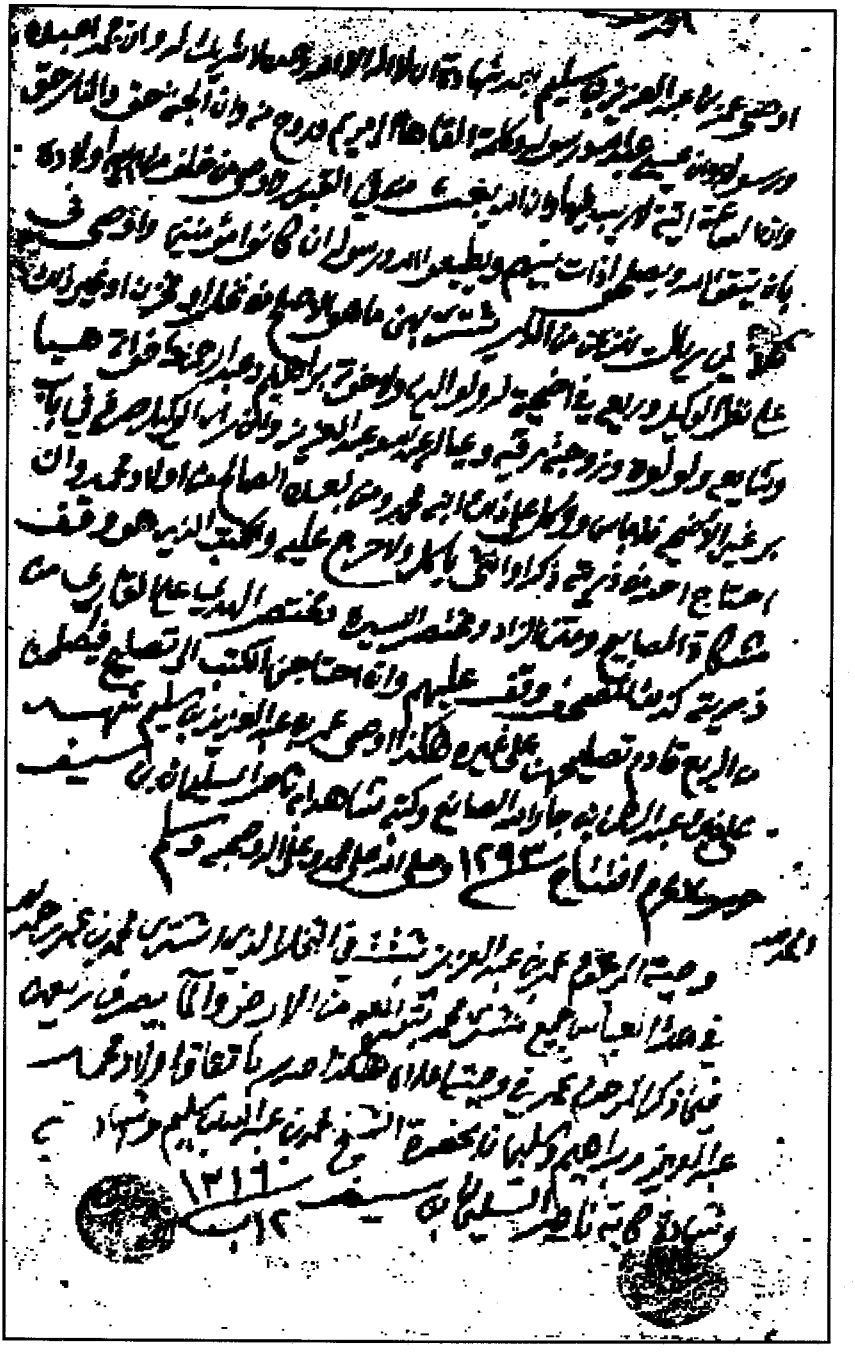

الحمد لله

حضرت عزیزہ بیگم بنت عمر بن سلیم وزوجت سلیمان بن محمد بن سلیم بعقد الاعوام کان ابوہ محمد بن عمر رحمہ اللہ شرأ فضہ بنت محمد مع حضور ہیا المذکورہ فبعت اباہا احمد السلیمانی بیسیف فی حال کونہ علی قضاء الشیخ محمد بن عمر رحمہ اللہ وکان الشیخ المذکور اخذہا فی سنۃ ثمانین قبلہ عن یاسین عبد العزیز الغنام الکبیر اشتراہا من الشیخ معلم والد الکاتب الثانی فوہبہ بریدۃ المجلس المذکور فی محرمہ قبلہ دار الشہداء وہی جنب دکان العجیمی وہی شمال دکان الجاسر بلجوع معلوم فبعت عزیزہ الکاتب ہذا وانتہ بیسیف المذکورہ محمد ہیا فی معلوم قدرہ وضعہا بمائتہ ریال فرانسی والثمن المذکور بذمۃ الشیخ رحمہ اللہ لاخذہ ہیا المذکورہ ستقطعت عن ذمۃ الشیخ وبقیت لہا بذمۃ الشیخ رحمہ اللہ وعن استقلال الکاتبۃ الی ملکہا ہیا تتصرف فیہ تصرف الملاک فی املاکہم وذوی الحقوق فی حقوقہم لاشتمال البیع علی کونہ العقد الشرعی وذلک البیع بحضور الرحیم ابن الشیخ محمد وشہادۃ قائل ذلک کتبہ حمد بن عتقہ البیع ناصر بن سلیمان بن سلیم حرر ۲ جمادی الثانی ۱۳۰۹ وصلی اللہ علی محمد وعلی آلہ وصحبہ

الحمد لله

الیہ یعلم بمزاولۃ ہیا بنت عمر بن سلیم قد وقفت وحبست حضرتہا الکاتبۃ المرسومۃ اعلاہ یکون ریعہا فی ابواب البر فیہ اضحیتین لہا بنفسہا واحدۃ والأخری لابنہا رقیدا ابنا محمد واخذہا محمد وعبد العزیز وعبد اللہ وحبہا فاطمہ وذکرت عن وصیتہا الاولی انہا ثلثا والآن جعلت ما رسم الکاتبۃ وثلاث الشقر الذی اشترتہ من بنت الصقعبی والنخلات الاربع الذی اشترتہ من ترکۃ المرحوم اخیہا محمد وست نخلات بمکان الصقعبی تذکر انہا وقف بخرصہا المذکور مع ہا المعینۃ المرقوم وغیرہ ہو الذی لہا ثلثہ فیہا الاضحیتین المذکورتین وفیہ عشاء جمیع شہر رمضان نہارہ لیلہا واطعامہا وحبہا ولہا ثلثہ یرصد مدۃ الاربعۃ اشہر فجعل فی مسجد ارغیۃ علی قدر الحاجۃ للصلاۃ وباقی الریع یعمل بہ من اطعام قریب محتاج علی ما یراہ الوکیل واذا احتاج احد من ذریۃ اخیہا محمد یأکل ولدہ ؟ ویقدم الاحق فالاحق فالاقرب فالاقرب من ذریۃ اخیہا ما تناسلوا کذلک اخواتہا ان احتاجن یصرف الیہن الوکیل من الریع ما یراہ واستثنت ہیا ریع المذکور مدۃ حیاتہا تتصرف علی ما ارادت ومن بعدہا وقفت ابن اخیہا ابراہیم بن محمد بن سلیم ولہ الاکل بالمعروف ومن بعدہ بالحاجۃ ومن بعدہ اخیہ والصالح من ذریۃ اخیہا وذریتہم شہد علی ذلک علی بن محمد الحمد السعیہ وکتب شہادتہ ناصر السلیمان بن سیف

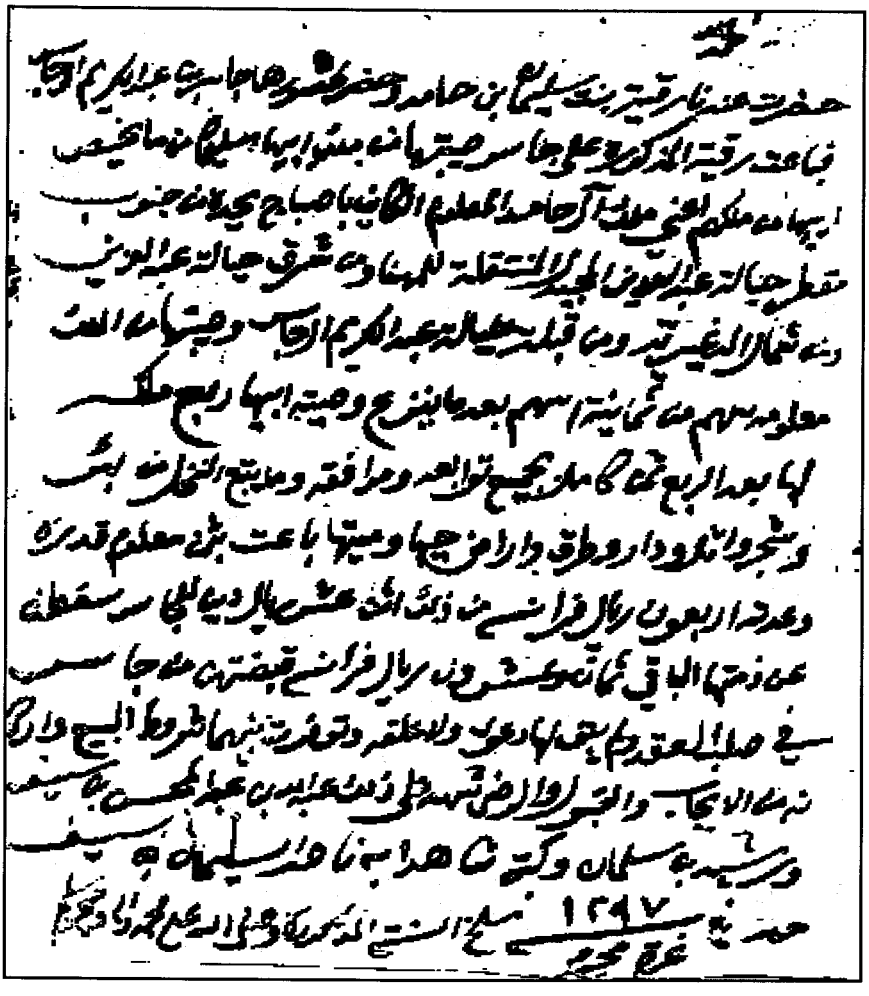

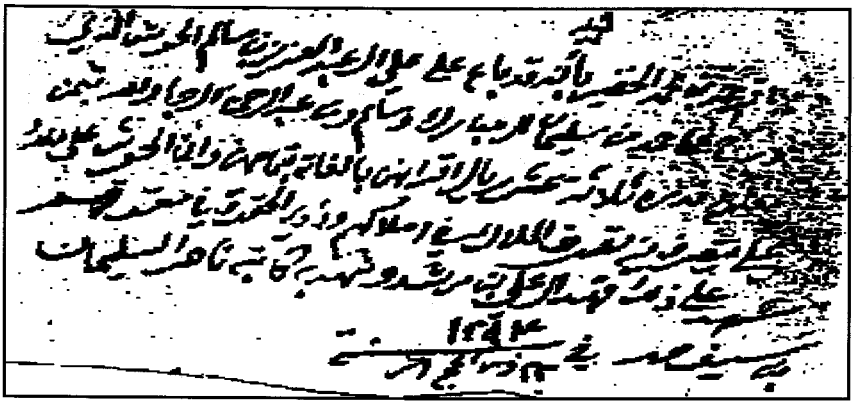

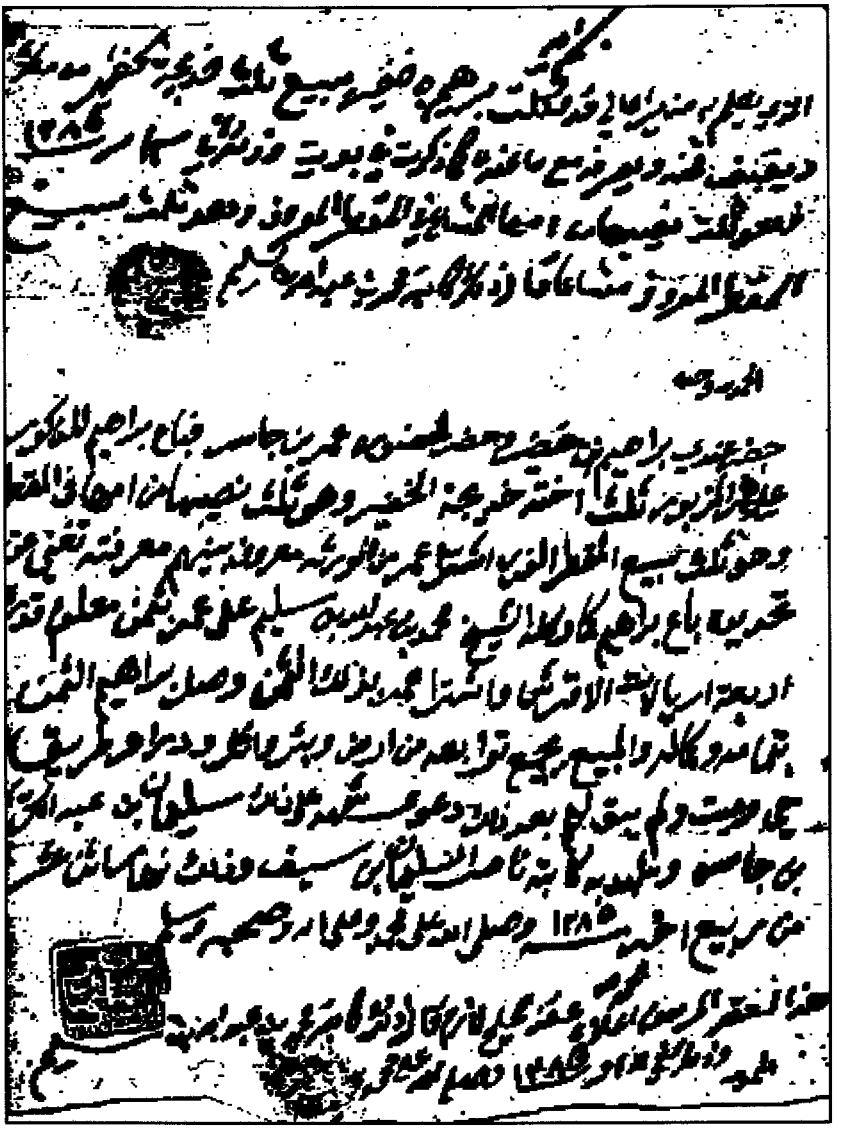

* * *

وثيقة مهمة:

وهذه الوثيقة المهمة جداً من الناحية التاريخية، لكون الشخصيات المذكورة فيها هي شخصيات مؤثرة في عصرها وهي:

حسن بن مهنا أمير القصيم وهو حسن بن مهنا بن صالح بن حسين أبا الخيل، وبنته منيرة.

وصدق عليها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بكلامه وختمه، وكان يومئذ ملك البلاد وإن كان طلبة العلم والمتدينون يسمونه (الإمام) أي إمام المسلمين، وأما العوام فإنهم يسمونه (الشيوخ) على لفظ جمع شيخ تعظيماً له وتنويهاً بمقامه، لأن رئيس القبيلة، أو القبائل كان يسمى في نجد (شيخاً) فزادوا على ذلك بأن سموه (الشيوخ)- جمع شيخ- فإن معنى ذلك أنه (أمير الأمراء) ولا نقول: ملك الملوك، لأن هذا اللفظ منهي عنه شرعاً، ولم يستعمله أحد منهم.

و(ناصر بن سليمان السيف) هو شخصية مهمة كما ذكرنا فهو فقيه ووجيه وكاتب وثري وقد كتب الوثيقة الشيخ المشهور (إبراهيم بن حمد الجاسر) بخطه ومن إملائه كما هو ظاهر من الأسلوب، وكان آنذاك قاضي بريدة.

وقد شهد على بعض الوثائق الصغيرة الملحقة قاضٍ لبريدة آخر تولى القضاء بعد ابن جاسر وهو الشيخ عبدالعزيز بن بشر وليس من أهل بريدة، بل هو من أهل (المفيجر) في الأفلاج، أو من أهل الرياض عينه الملك عبدالعزيز قاضياً على بريدة.

وهذا نص الوثيقة ومصادقة الملك عبدالعزيز عليها، والوثائق الملحقة بها.

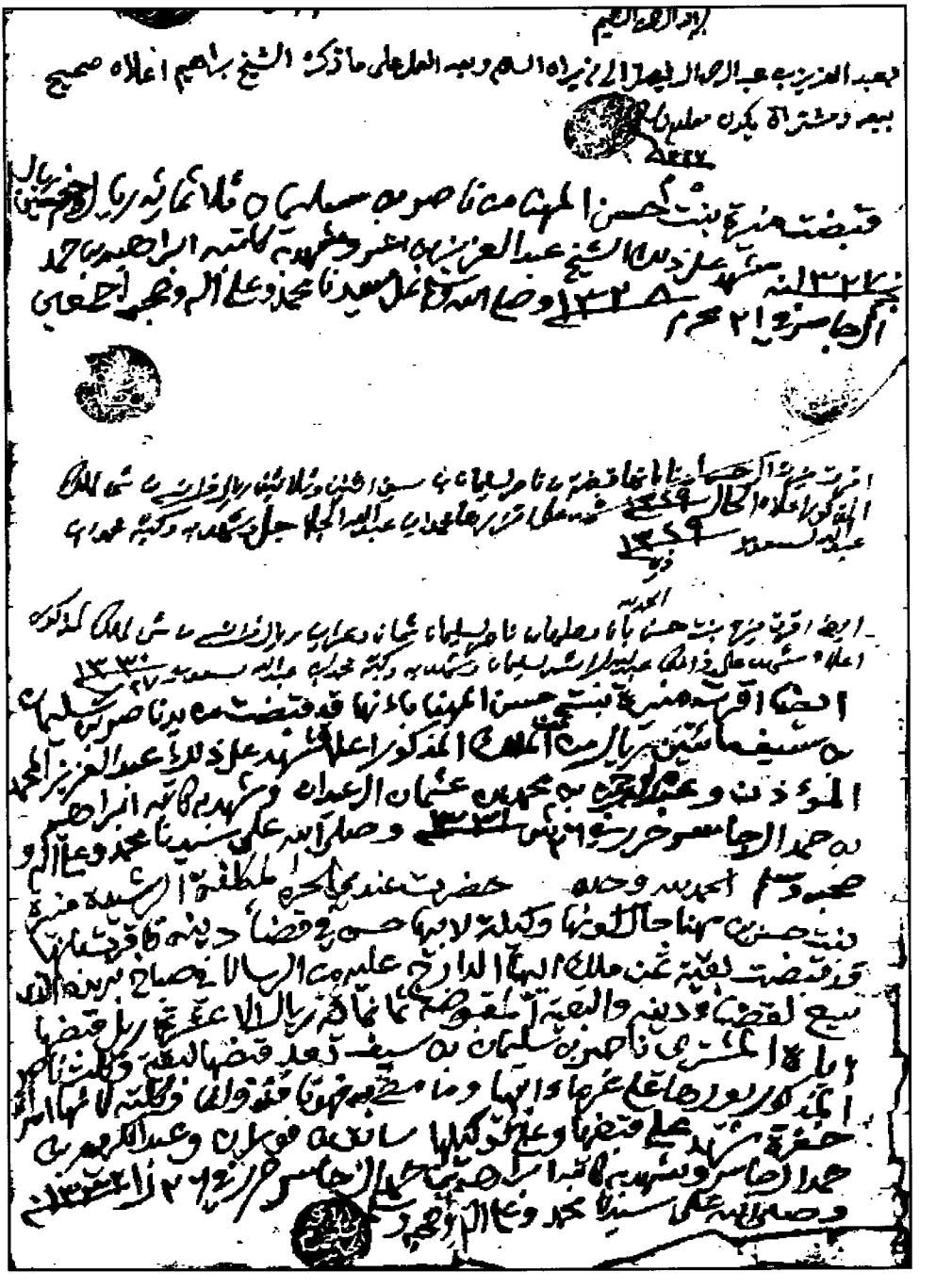

الحمد لله وحده

أما الأشخاص الواردة أسماؤهم في الوثيقة غير من ذكرناه آنفاً فأبرزهم الرسيني وجمعهم (الرساتنى) بفتح النون وهم أسرة مشهورة بأنها كانت تملك نخيلاً وعقارات كثيرة في بريدة وخبوبها وتزخر الوثائق الموجودة لدينا بذكر ذلك.

ومن أهم ذلك النخل الذي باعوه على أمير القصيم حسن بن مهنا كان من الأملاك المتميزة بالازدهار والسعة حتى إن ناصر بن سليمان السيف اشتراه بألف وخمسمائة ريال فرانسه، وأن هذا الملك كان عماد المبلغ المالي الذي استعمل لوفاء الدين الذي لحق ذمة حسن بن مهنا، ولم يستطع وفاءه في حياته، لأنه كانت قد كسرت رجله في حربه مع محمد بن رشيد أمير حائل وما يتبعها في وقعة المليدا عام ١٣٠٨هـ ثم سجنه ابن رشيد في حائل، فبقي في السجن ذليلاً مهاناً حتى توفي فيه عام ١٣٢٠هـ.

ومن ذلك يلاحظ أن حسن بن مهنا وهو أمير القصيم لم يكن يستطيع قضاء دينه عندما كان في الإمارة، وذلك أن إمارته كانت مثل إمارات أهل القصيم قبل عصره وبعده بقليل لا تتجاوز على حقوق الناس ولا تأخذ من أحد شيئاً غير الزكاة المفروضة من زكاة الثمار والمواشي.

ما عدا ما يسمى بالجهاد وهو أشبه بالضريبة غير المنتظمة بمعنى أنها التي تؤخذ مرة واحدة من القادرين، ولا تؤخذ من الفقراء، ولا تفرض إلا إذا نزلت بالبلاد نازلة لا تستطيع دفعها إلا بالمال، ويسمونها (فَضَّة) بفتح الفاء وجهاداً لكونهم يقولون إنها تصرف لمجاهدة الأعداء.

وتتضمن الوثيقة أن الشيخ إبراهيم بن حمد الجاسر بصفته القاضي الشرعي في بريدة وكّل منيرة بنت الأمير حسن المهنا على قضاء دين أبيها لأن أباها لم يوكل أحداً على ذلك نظراً لحالته في السجن وأنها بوكالتها تلك

باعت ملك أبيها الدارج عليه من (الرسانى): أسرة الرسيني علي ناصر بن سليمان بن سيف ثم بعد ذلك وكلت ناصر السليمان بن سيف على قضاء دين أبيها من المال الذي باعت به الملك وهو النخل المذكور عليه.

وقد استثنت منيرة من البيع على ناصر الأسبال التي في الملك وهي النخلات التي وقفها أرباب الملك الأوائل إذ كان من عادة أهل النخيل أن يسبلوا بمعنى يوقفوا عدداً من النخلات المعينة لا يجري عليها بيع إذا باعوا النخل ولا إذا ما باعه من اشتراه منهم.

أما الشهود على الوثيقة فهم فهد بن محمد المهنا وهو ابن أخ للأمير حسن المهنا ومحمد بن عبدالله الجلاجل، ومعروف أن (الجلاجل) صاهرهم آل مهنا أدْ تزوج حسن المهنا منيرة هذه فكان ابن جلاجل جديراً بالشهادة على بيعها لأنه محرم لها يعرفها.

أما الثالث وهو سعيد بن سليمان السعيد فإنني لا أعرفه بالضبط لأنه كان يوجد آنذاك في بريدة أكثر من أسرة تسمى (السعيد) ولعله الذي يسمى المنفوحي.

واللافت للنظر هو التصديق على الوثيقة الصادر من الملك عبدالعزيز آل سعود ونصه بعد البسملة:

(من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى مَنْ يراه، السلام، وبعد، العمل على ما ذكره الشيخ إبراهيم اعلاه صحيح بيعه ومشتراه يكون معلوم، والسلام ٥/ (محرم) ١٣٢٧هـ.

وقد دل هذا التاريخ على أن تصديق الملك عبدالعزيز على الوثيقة تم بعد كتابتها بنحو شهر أو شهرين، لأن كاتبها الشيخ إبراهيم الجاسر رمز لذكر الشهر فذكره بلفظ (ذي) الذي يدل على أحد شهرين هما (ذو)القعدة وذو

الحجة ولا يمكن معرفة ذلك إلا بتعيين الشهر، اللهم إلا إذا كان له ولمن في زمنه اصطلاح بأن يكون لفظ (ذي) يدل على أحد الشهرين المذكورين بالتعيين وهو ما عرفناه بأن (ذا) يدل على ذي القعدة و(ذي) على ذي الحجة.

وآخر المكاتبات الملحقة، بالوثيقة مهم وهي بخط الشيخ إبراهيم بن جاسر أيضاً ولكن بعد أن ترك القضاء وتقول فيها منيرة بنت الأمير حسن المهنا: إنها قبضت بقية ثمن ملك أبيها الدارج عليه من (الرسانا) من المشتري ناصر السليمان بن سيف وإنها وكلته على توزيع ذلك الذي قبضت منه على غرماء والدها أي الذي لهم دين على أبيها، وأن ما مضى به فهو نافذ أي ما فعله فهو نافذ.

وهذا يدل كما قلنا على مكانة ناصر السليمان بن سيف في النفوس، وكونه ثقة عدلاً مأموناً بصيراً بالأمور.

وقال الشيخ ابن جاسر في الوثيقة وإنما وكّلته- أي ناصر السيف- لأنها امرأة خَفِرة، بمعنى أنها لا تستطيع أو لا تريد أن تحادث غرماء أبيها من الرجال لأنهم أجانب منها.

وظني أنه لو كان الأمر أمر خَفَر مجرد لكانت وكلت أحد أقاربها، ولكن ذلك لما ذكرناه من كون (ناصر السيف) ثقة وهو معتمد قدير على استحصال ما لحسن بن مهنا من حق، ووفاء ما عليه من دين.

وأما الشهود في هذه الوثيقة الأخيرة فإنهم من المعروفين أولهم (سابق بن عثمان السابق) من أعيان بريدة الذين قدموا إليها من الشماس وهو والد الشيخ فوزان السابق أول سفير في مصر للمملكة العربية السعودية حتى قبل أن تصبح مملكة وكان اسمها (سلطنة نجد).

والسبب في ذلك أنه كان من تجار المواشي من الإبل والخيول المقيمين في مصر لهذا الغرض قبل أن يكون سفيراً للمملكة، وكان يقال له أول الأمر (معتمد المملكة النجدية في مصر).

والثاني عبدالكريم بن حمد آل جاسر وهو أخو الشيخ القاضي إبراهيم الجاسر كاتب الوثيقة، والثالث هو الكاتب نفسه وهو الشيخ إبراهيم بن حمد الجاسر وهو عالم مشهور بتدينه وورعه، إضافة إلى توليه القضاء.

ومن الوثائق المتعلقة بذلك وثيقة بخط القاضي الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، وكّل فيها أيضاً (ناصر السليمان بن سيف) على قضاء دين حسن المهنا، وصدّق عليها الملك عبدالعزيز آل سعود وهي متأخرة التاريخ عن الأولى إذ هي في ١٣ رجب سنة ١٣٣٥هـ.

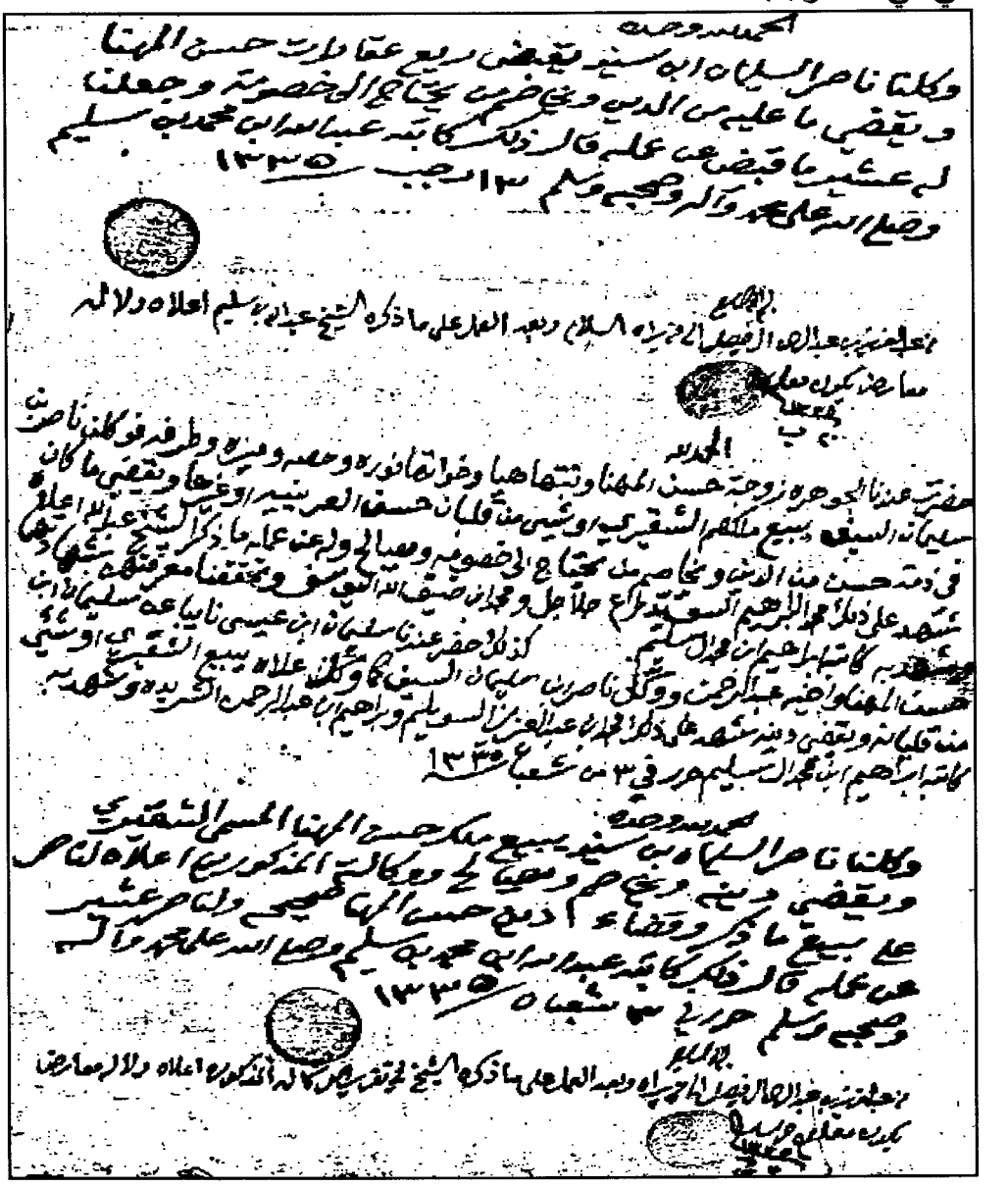

وثائق أخرى بخط ناصر السليمان بن سيف:

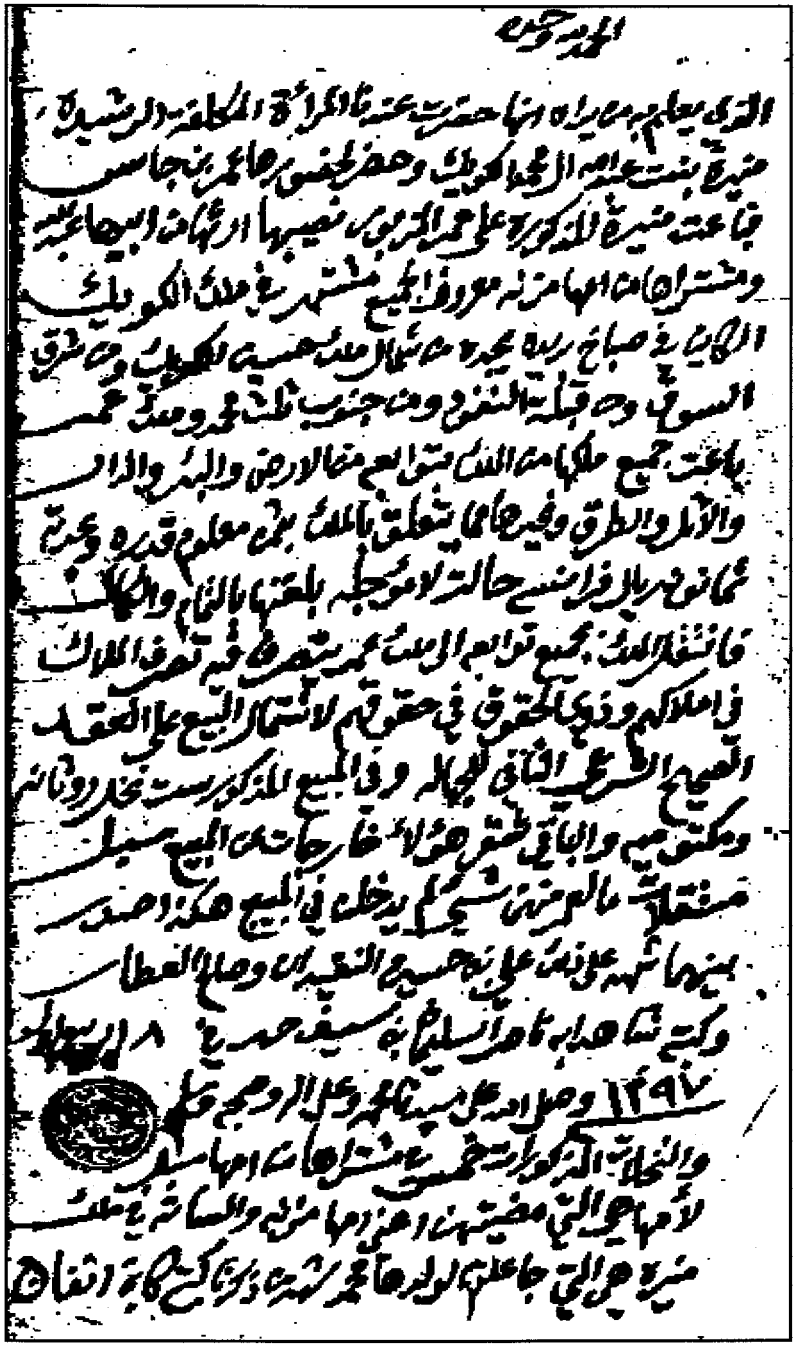

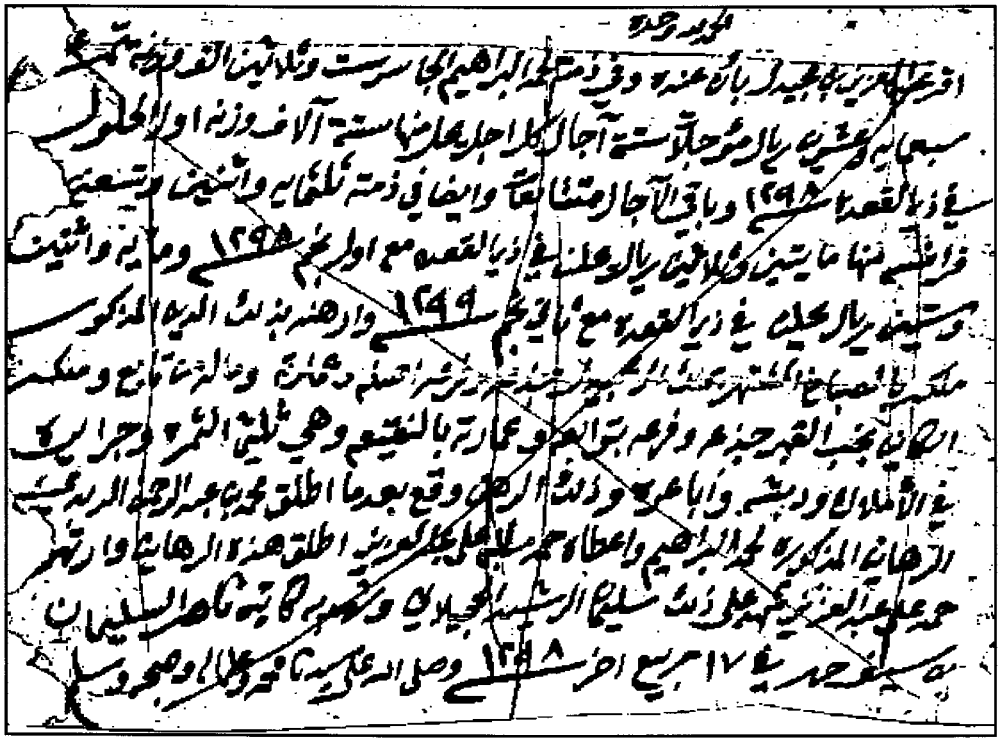

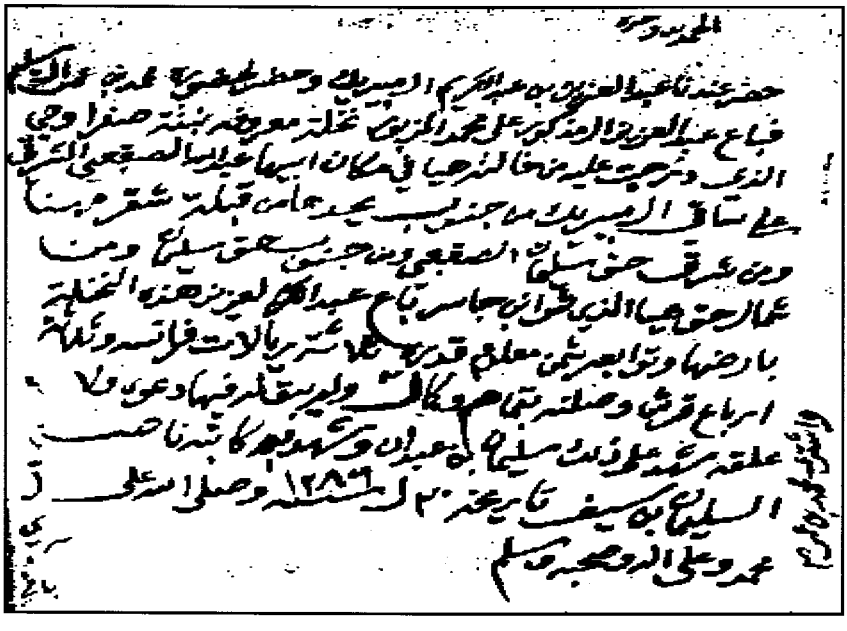

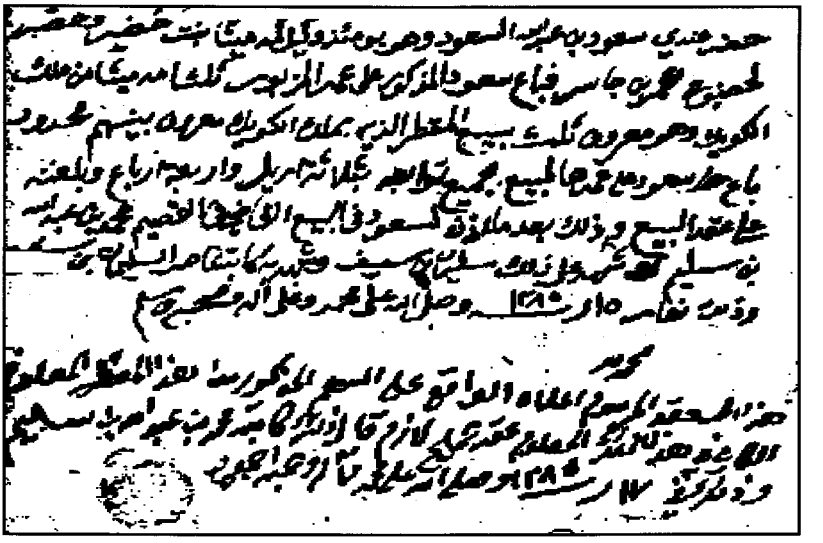

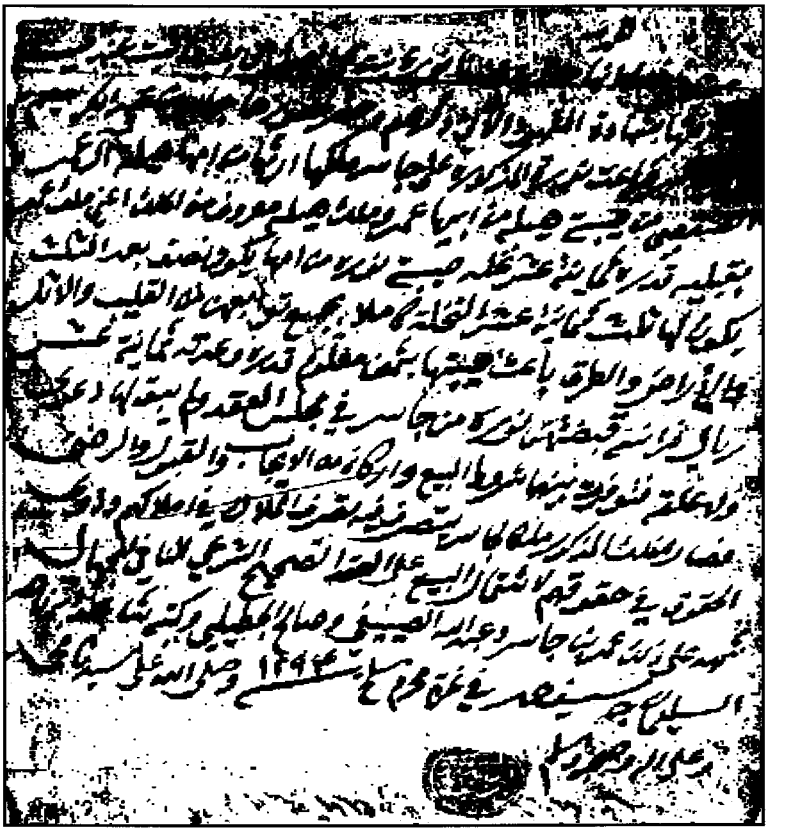

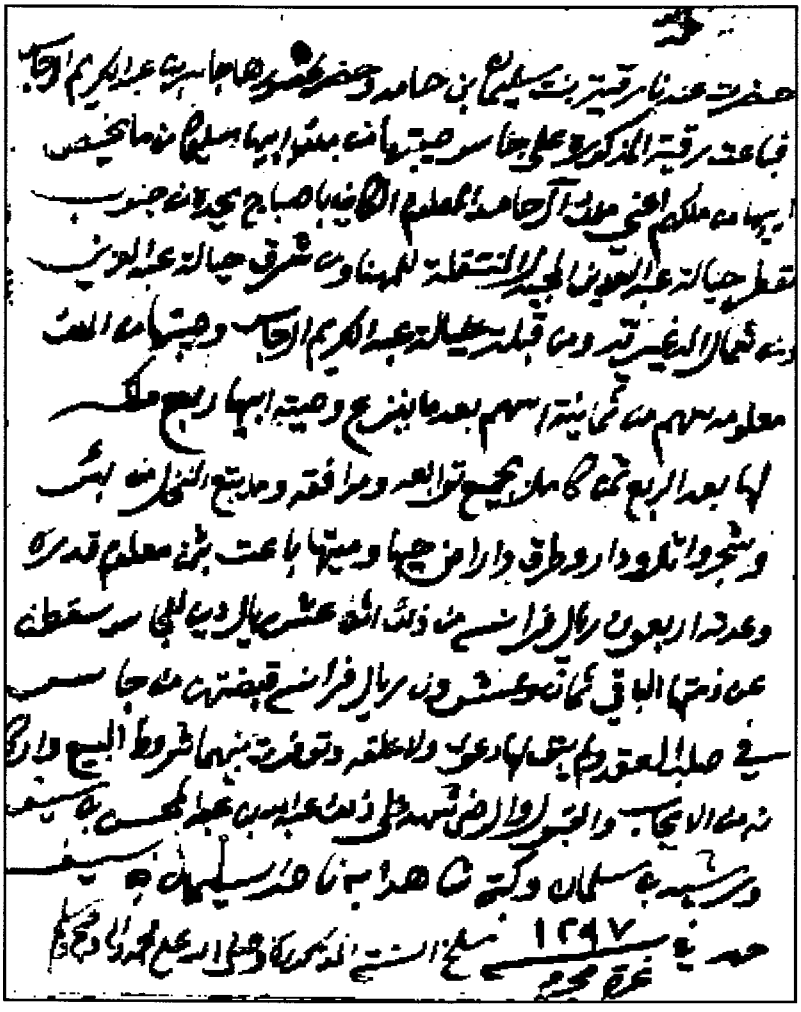

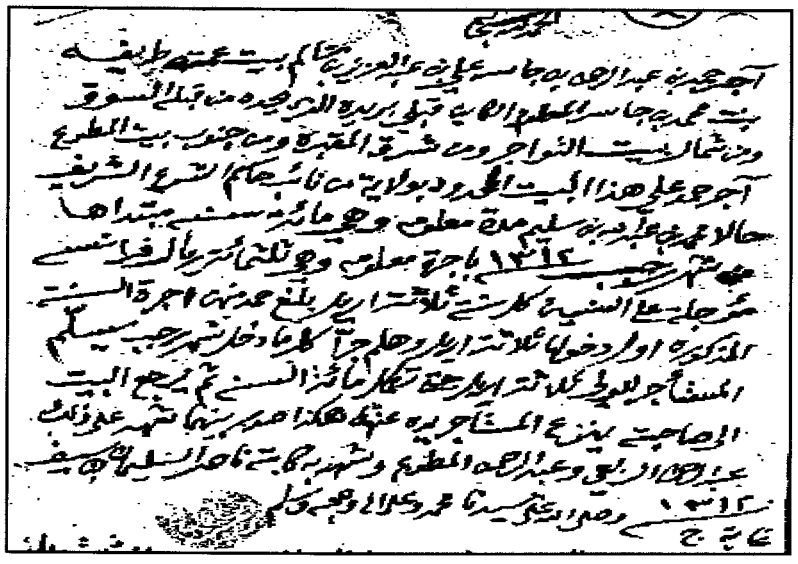

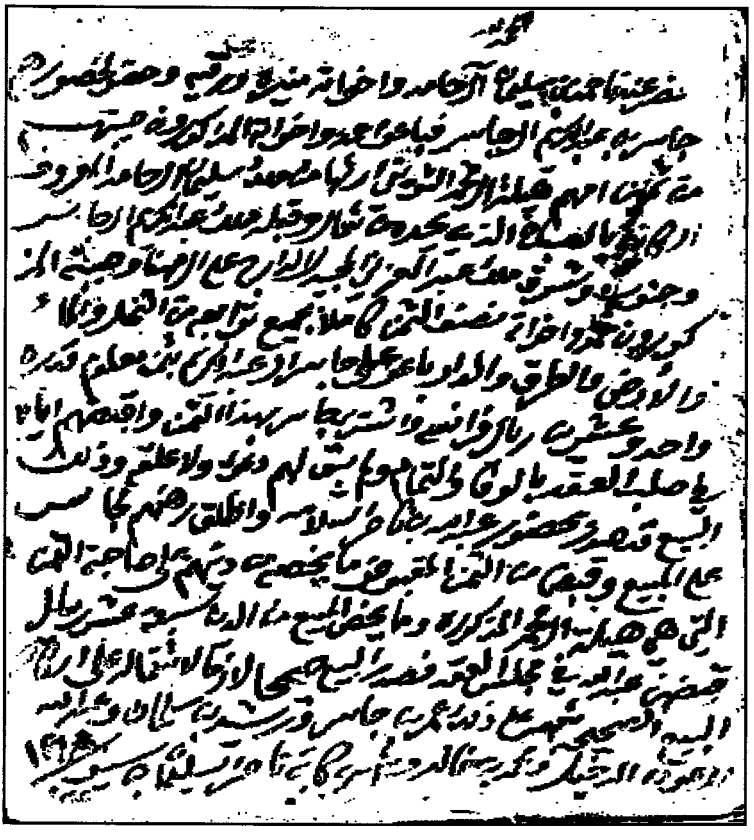

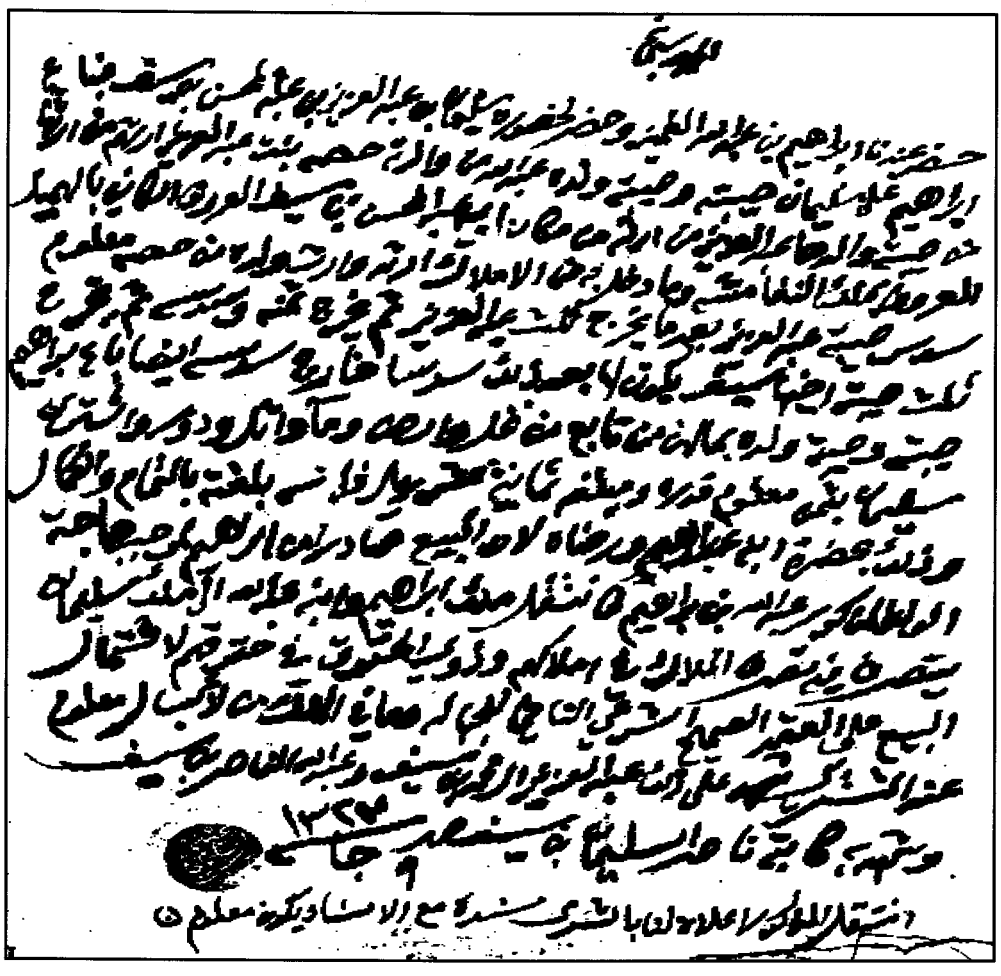

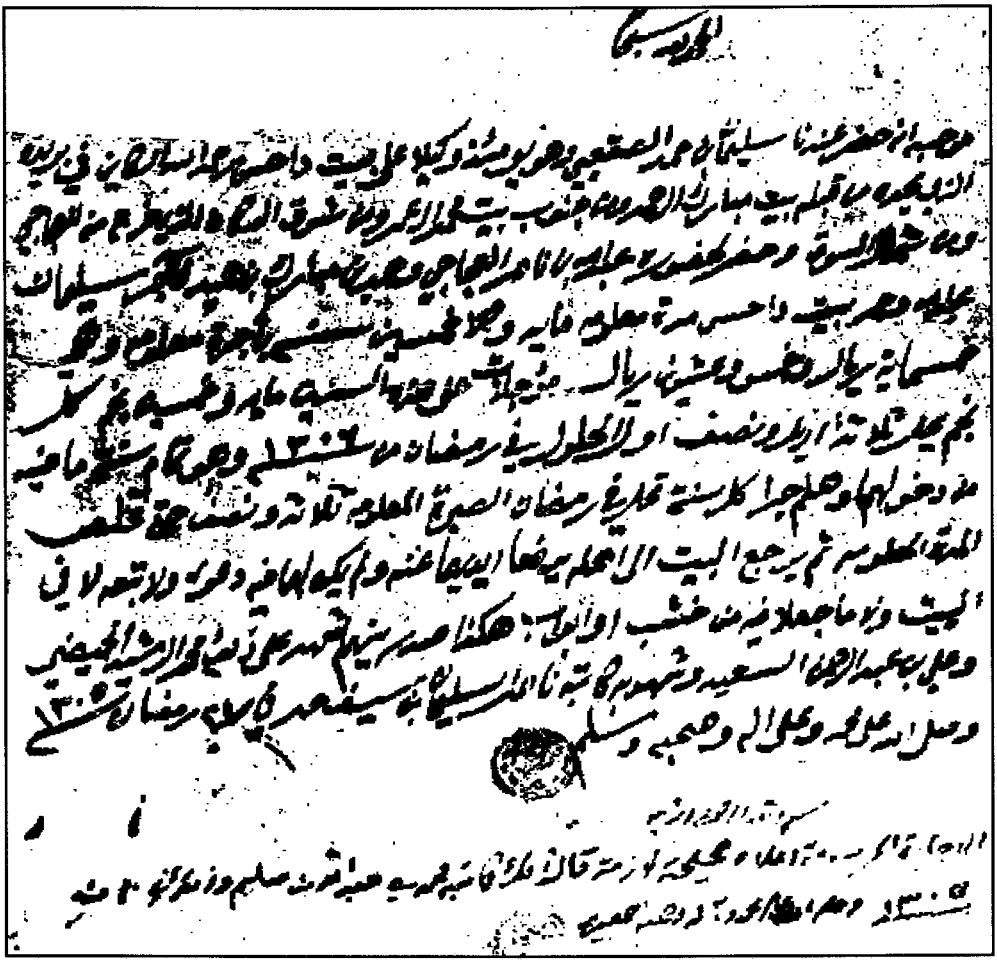

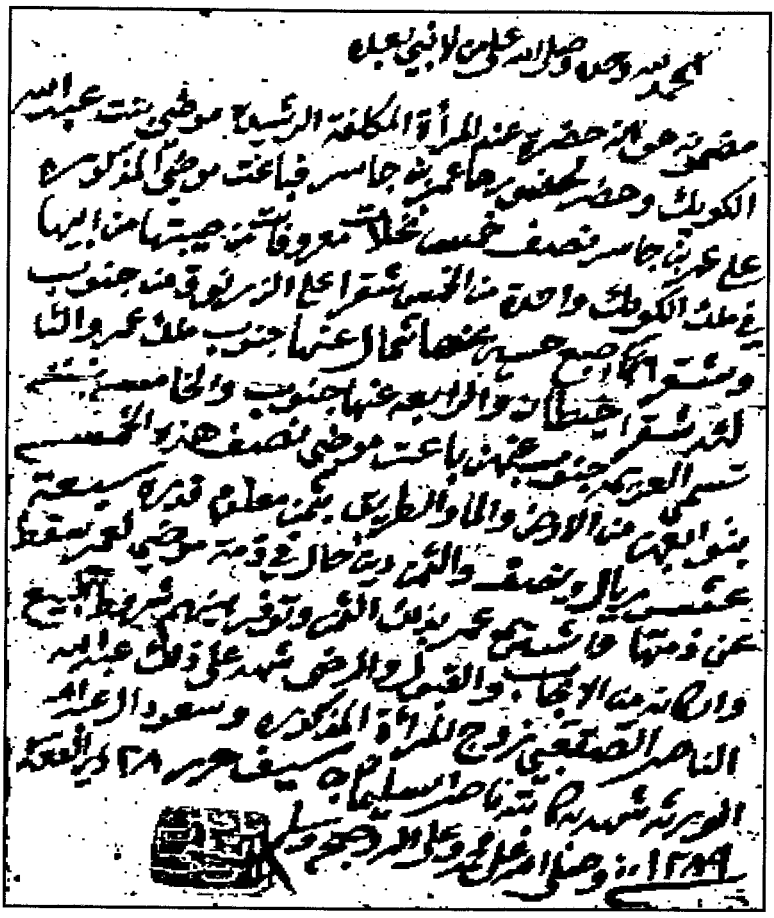

وقد ظل ناصر بن سليمان بن سيف دهراً طويلاً إماماً للمسجد الذي عرف باسمه فكان يسمى (مسجد ناصر) وهو ثاني مسجد بُنى في بريدة بعد المسجد الجامع، ويقع إلى الجنوب منه.

ثم هدمته بلدية بريدة في عام ١٣٨٨هـ وأدخلته وما حوله في السوق المركزي للخضروات والفاكهة.

وعندما حصل الشقاق والاختلاف بين المشايخ آل سليم ومن معهم والشيخ ابن جاسر ومن شايعه وعلى رأسهم الشيخ عبدالله بن عمرو وانقسم طلبة العلم في بريدة بل والقصيم بسبب ذلك وتابعتهم العامة كان (ناصر السليمان بن سيف) صديقاً للجميع ومحترماً من الطرفين.

وقد ظل ناصر السليمان السيف نشطاً في كتابة الصكوك والوثائق إلى قبيل وفاته في عام ١٣٤٠هـ حسبما قيدته بناء على قول بعضهم لكنني تأكدت بعد ذلك أن وفاته كانت في عام ١٣٤١هـ وممن أكد لي ذلك سبطه أي ابن بنته الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الغصن والد الدكاترة الذين هم عدة ممن يحملون شهادة الدكتوراة قال: توفي جدي لأمي ناصر بن سليمان بن سيف في عام ١٣٤١ قال: وكان والدي عبدالله بن غصن يذكر أنه سافر سنة سقوط حايل وهو فتح حائل على يد الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله إلى الشمال ولما عاد وذكر أن معه فلاناً وفلاناً بعد ذلك بأشهر عرفوا أن ناصر السليمان بن سيف توفي في غيابهم، وعلى هذا يكون ناصر السليمان بن سيف قد عمر دهراً.

* * *

أبناء ناصر بن سليمان بن سيف:

رزق ناصر بن سليمان بن سيف بأبناء نجباء، أكثرهم شهرة بالعلم والتحصيل الشيخ صالح سمعت الناس يتحدثون بعد وفاته عن علمه الغزير وتحصيله الذي يقل مثيله وذكروا أنه بلغ في العلم مرتبة القضاة من العلماء إلا أن كونه من جماعة الشيخ إبراهيم بن جاسر المتشددين في ذلك ومجافاته للمشايخ من آل سليم واتباعهم من طلبة العلم منع من ذلك.

ومن مظاهر ذلك أيضاً أنه ترك السكنى في بريدة وسكن في بيت لهم في نخل مزدهر في الصباخ، يأتي إليه بعض المشايخ وطلبة العلم من أتباع الشيخ ابن جاسر يتذاكرون في حالتهم ويتباحثون في العلوم.

وقد توفي في الصباخ في عام ١٣٥٤هـ.

ومنهم محمد وهو شيخ عالم تولى القضاء في عدة بلدان منها سكاكا في الجوف وعقلة الصقور في أعلى القصيم.

وقد أدركته، بل اجتمعت به، وذلك عندما كنت أعمل في المدينة المنورة وكان له ابن موظف هناك فكان يزوره ويصلي في المسجد النبوي الشريف.

ومنهم عبدالله بن ناصر بن سيف من كبار جماعة أهل بريدة، وأذكر أنه بعد أن مات الجماعة الكبار الذين هم فهد بن علي الرشودي، وأخوه إبراهيم وعبدالعزيز الحمود المشيقح، بل بعد أن مات ابنه عبدالله المشيقح عين جماعة أهل بريدة في اجتماع لهم حاشد عشرة من أهل بريدة ليكونوا الناطقين باسم الجماعة الممثلين لها عند الحكومة وإن لم ينطقوا بهذه اللفظة، فكان

عبدالله بن ناصر السيف أحد هؤلاء العشرة المختارين توفي عبدالله بن ناصر السيف في محرم من عام ١٣٨٩ في بريدة.

ومن الطرائف في موت عبدالله بن ناصر السيف- إن كان في الموت ما هو طريف- إن ابن عمه عبدالعزيز بن صالح السيف كان مريضاً وكان عبدالله مريضاً أيضاً، فقال عبدالله لعبدالعزيز: مذكور لي دكتور في البلد الفلاني أبي أروح له أتداوى عنده، فقال عبدالعزيز: لا تخلين إلى بغيت تروح خذْنْ معك.

فقال عبدالله: ابداً، والله ما اخليك أبداً أروح أنا وإياك.

ثم خف المرض على عبدالله السيف، بل تحسنت صحته.

وفي ليلة كان أخوه الشيخ محمد بن ناصر السيف قاضي الجوف قد قدم إلى بريدة وعزمه عبدالعزيز الصالح السيف هذا في بيته فطلب من عبدالله السيف أن يقرأ عليه لأنه شعر بأن المرض يزيد عليه، فقرأ عليه عبدالله، أي نفث عليه بالرقية التي تكون عادة من الآيات القرآنية والأدعية المأثورة فلما فرغ قال لعبدالله بن سيف: إصح يا أبو ناصر، لا تروح وتخلين، يقصد إلى ذلك الطبيب أو غيره من الأطباء.

فقال عبدالله ابن سيف: الله يهديك يا أبوصالح أنا أخليك؟ والله ما أروح إلا أنا وإياك جميع.

وبعد القهوة عاد عبدالله ابن سيف إلى بيته وهو يقول لمن معه: أنا أحس وجع بعظامي اليوم ثم مات من ليلته، ومات صاحبه عبدالعزيز بن سيف من ليلته أيضاً.

فجهزا معاً وصلي عليهما معاً في جامع بريدة الكبير ودفنا في ساعة واحدة.

وصدق كلام ابن سيف في أنه لن يترك صاحبه، وإنما سيذهبان معاً، فذهبا إلى المقبرة معاً، وكان موتهما ليلة الجمعة ١٠/١/١٣٨٩هـ.

وكل ما ذكرناه يؤكد أن أسرة (السيف) أسرة ثقافية علمية، ويزيدنا معرفة بذلك أنهم أول من أوقف مدرسة لتعليم القرآن الكريم والخط في بريدة، وكانت واقعة إلى الغرب من مسجد ناصر جنوباً من (قبة) رشيد، وقد هدمت، وأدخلت في التوسعة التي أنشيء بها السوق المركزي في بريدة.

وكنت درست فيها على أستاذنا الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سليم عام ١٣٥٦هـ، إذْ كان يدرس فيها لأنها موقوفة على ذلك، وكان آخر من درَّس فيها- بتشديد الراء- (سليمان بن رزقان).

* * *

خط الملا ابن سيف وأسلوبه في الكتابة

أسلوبه في الكتابة:

للملا عبدالمحسن بن سيف أسلوب متميز يصح أن يسمى بالأسلوب الأدبي الذي لم يجاره فيه غيره من معاصريه لولا أنه لا يحسن النحو، ويظهر أنه لم تتح له فرصة تعلمه، أو أنه لم يكن النحو عنده من الضرورة بمكان لكي يتعلمه، وإلا فإنه لا يعجزه أن يتعلمه حسبما رأيناه من كتاباته.

وكان يحب الأسلوب الأدبي في الكتابة إلى درجة التمحل وابتغاء السجع، ولو كان مستغرباً في هذا الوقت مثل هذه الوثيقة التي وصف فيها امرأة بأنها المذكورة وأخرى بأنها المزبورة، والمعنى اللغوي للمزبورة صحيح لأنه من الزبر بمعنى الكتابة في الكتاب المزبور: المكتوب، ويريد أنها مزبورة أي مكتوب اسمها في تلك الوثيقة.

وكان تمحله وتبسطه في الكتابة مفيداً لنا بعد هذه المدة الطويلة على وفاته، وذهاب وقته، مثل كونه لا يكتفي بشهادة شاهد واحد مع شهادة الكاتب كما كان يفعل الكتبة غيره في ذلك الوقت، وكان إلى ذلك يحرص على كتابة اسم الشاهد واسم أبيه واسم أسرته فأفادنا من ذلك فائدة كبيرة في تعرف حال بعض الشخصيات ذات القيمة في ذلك العصر، لأنه لا يشهد على كتاباته إلا ذوي المقامات ومن ذلك هذه الوثيقة:

* * *

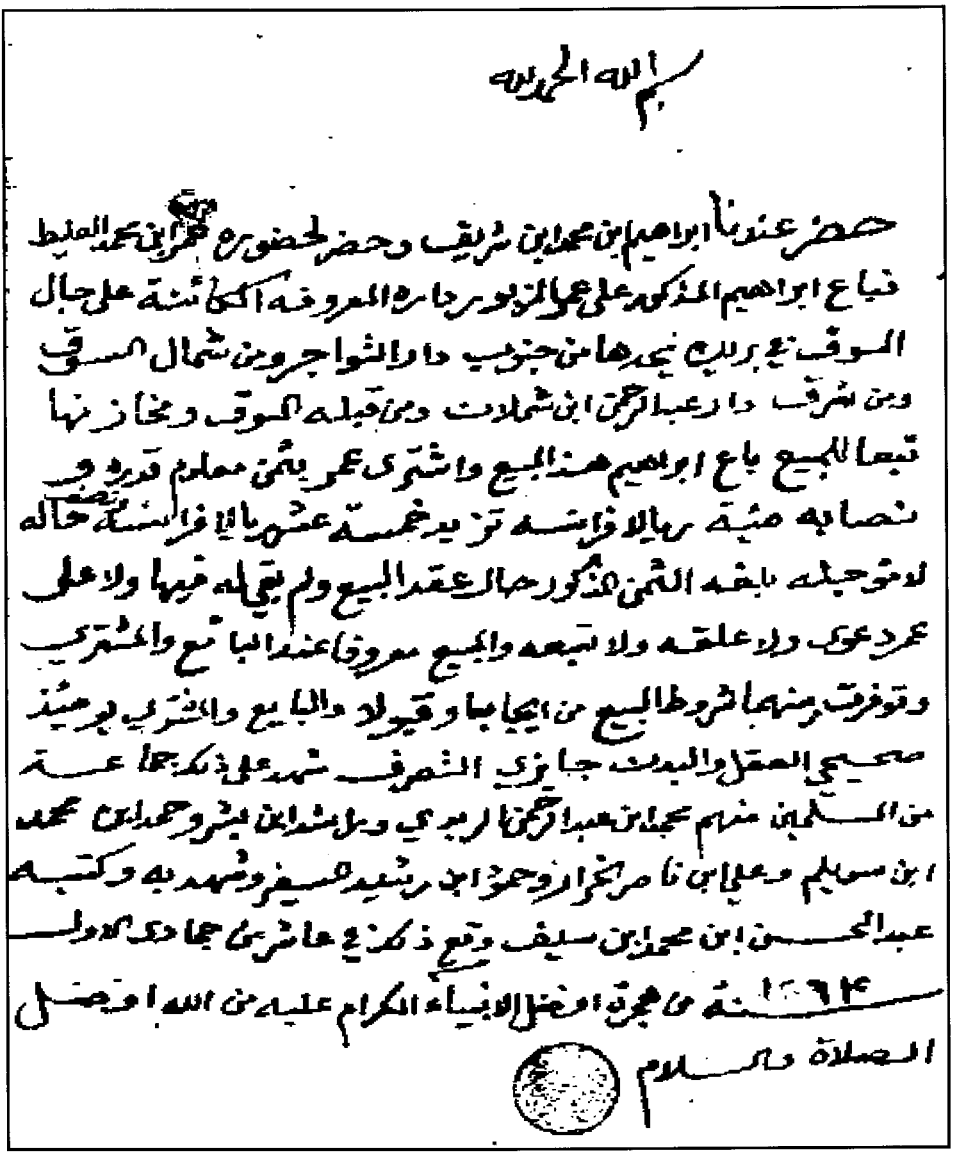

بسم الله الرحمن الرحيم

حضر عندنا ابراهيم بن محمد بن شريف وحضر لحضوره عمر بن محمد الغليط فباع ابراهيم المذكور على عمر المزبور داره المعروفه الكائنة على جال السوق بح برلج بحدها من جنوب دار الشواجرو من شمال السوق ومن شرق دار عبدالرحمن ابن شملان ومن قبله السوق ومخازنها تبعا للبيع باع ابراهيم هذا البيع واشترى عمر بثمن معلوم قدره وقد نصابه صفة رهالا فرانسه تزيد خمسة عشر بالا فرانسه حاله لا توجيله بلغه الثمن المذكور حال عقد البيع ولم يبق له فيها ولا على عمر دعوى ولا علقه ولا تبعه والبيع معروف عند البائع والمشترى وتوفرت منهما شروط البيع من ايجاب وقبول والبايع والمشترى يومئذ صحيحي العقل والبدن جايز التصرف شهد على ذلك جماعة من المسلمين منهم محمد بن عبدالرحمن الربعي وراشد بن بشر وحمد بن محمد ابن سعيم وعلي بن ناصر الخراز وحمود بن رشيد السيف وشهد به وكتبه عبدالمحسن بن محمد بن سيف وقع ذلك في عاشر جمادى الاول سنة ١٢٦٤ من هجرة افضل الانبياء الكرام عليه من الله افضل الصلاة والسلام

فهذه الوثيقة من الوثائق التي كتبها الملا عبدالمحسن بن سيف بخطه الجميل وعباراته الناصعة ولا ينقصها إلا معرفته بالنحو.

وقد صدرها بجملة (بسم الله، الحمدلله).

وهي مؤرخة في العاشر من جمادى الأولى عام ١٢٦٤هـ.

وتتضمن مبايعة بين ابن شريِّف والعليِّط لدار يتبعها دكاكين.

والشخصيات الواردة فيها هي:

إبراهيم بن محمد بن شْرَيف بإسكان الشين وفتح الراء وتشديد الياء على لفظ تصغير شَريِّف وهي أسرة معروفة من أهل بريدة وكانت لهم أملاك في الصباخ الواقع إلى الجنوب من بريدة.

والمشتري عمر بن محمد العليِّط وهو ثري من أثرياء بريدة حصلنا على وصيته ومبايعات عديدة له ذكرتها في (معجم الأسر).

ذكر في الوثيقة أن الدار التي جرى العقد على بيعها يحدها من جنوب دار التواجر، والتواجر: جمع تويجري وهم من أسرة (التويجري) الكبيرة المعروفة، بل المشهورة في بريدة.

ومن شرق يحدها دار عبدالرحمن بن شملان، والشملان من أهل بريدة انقرضوا ولا نعرف لهم عقبا فيها، وإنما لهم بقية في مدينة عنيزة، ولم يهاجر الذين في عنيزة منهم من بريدة إليها، بل كانوا قدماء في عنيزة.

و(ابن شملان) صاحب بريدة كان من عقيل تجار المواشي المشهورين الذين كانوا يتاجرون بالمواشي بين القصيم والشام ومصر، وورد له ذكر في شعر لغنيمان بن غنيمان أحد شعراء العامية المجيدين في بريدة.

وشهود الوثيقة هم (محمد بن عبدالرحمن الربدي) رأس أسرة (الربدي)

الكبيرة في بريدة وأول من ولد منهم في بريدة كان والده عبدالرحمن الربدي من أهل عنيزة يتردد على بريدة للتجارة في الحبوب كالقمح والشعير فتزوج امرأة من السابح الذين هم من أسرة (آل أبوعليان) حكام بريدة السابقين فرزق منها بمحمد هذا وبنت.

فجميع أسرة الربدي أهل بريدة هم من ذرية محمد هذا، وقد رزق محمد الربدي ثروة طائلة، وكان إلى ذلك متديناً بل متعففاً يبلغ به الورع أحياناً أن يترك ماله عند الناس من أجل ورعه، وقد سودت في ترجمته كتيباً بعنوان (أخبار محمد الربدي) وذكرت فيه ذلك وأمثاله، وتوفى محمد الربدي في حدود عام ١٣٠٠هـ ووصيته موجودة لديَّ.

و(راشد بن بشر) هو من أسرة تسمى (ابن بشر) من أهل خضيرا، أما في بريدة فلا أعرف (بشر) غير البشر الذين هم ذرية مؤرخ نجد المشهور (عثمان بن بشر) وعلى رأسهم صديقنا وزميلنا الوجيه النبيه محمد بن عثمان بن بشر الذي هو ابن حفيد المؤرخ ابن بشر، فوالده عثمان هو حفيد المؤرخ عثمان بن بشر ولكن نزول أسرة (البشر) هؤلاء في بريدة كان متأخراً، عن تاريخ هذه الشهادة ولا نعرف من أفرادها من اسمه راشد في ذلك الوقت.

أما (حمد بن محمد السويلم) فإنه من أسرة السويلم المعروفة التي كان أول من سكن بريدة، منها هو الشيخ القاضي عبدالعزيز بن عبدالله بن سويلم الذي تولى قضاء بريدة.

والشاهد الرابع هو (علي بن ناصر الخراز) وأسرته معروفة حتى الآن باسم (الخراز) وآخر من أدركناه من نبهاء الأسرة (علي بن محمد الخراز)

وهو طالب علم مجيد، وكاتب ثقة كان له دكان في سوق بريدة.

وقد تفرعت من أسرة الخراز أسرة عرفت أخيراً باسم (العلوان) ورأسها ناصر بن علي أبوعلوان الشاعر المشهور.

والخامس هو (حمود بن رشيد السفَيِّر) على لفظ تصغير السفير، و السفير له في لغتهم معان ليس منها السفير السياسي لدى الدولة الأخرى، فلم يكونوا يعرفون هذا اللفظ في تلك الأزمان.

وقد ذكرت المعاني الأخرى لكلمة (سفير) عندهم في (معجم الألفاظ العامية) الذي اسميته المعجم الكبير، ولم يطبع بعد.

وأسرة (السفَيِّر) صغيرة لا تزال موجودة عرفنا منهم حمود السفير حفيد المذكور في الشهادة، وكان مؤذناً في مسجد المشيقح الذي كان يسمى (مسجد عيسى) نسبة إلى عيسى بن عبدالكريم العيسى.

ثم شهد الملا ابن سيف أيضاً به مع كتابته.

وكثرة الشهود في الوثائق التي كتبها عبدالمحسن السيف يفيدنا فائدة كبيرة، إذْ يذكر لنا أسماء أشخاص لم نجد ذكرهم مسجلاً في أية وثيقة أخرى، ماعدا المشهورين منهم مثل محمد الربدي فإن أسماءهم موجودة في وثائق كثيرة.

ويلاحظ طالب العلم الملم بالنحو أن الملا لا يعرف النحو اطلاقاً لأن هذه الوثيقة بالذات فيها لحن مثل (ولم بقي له فيها الخ) وقوله: (والمبيع معروفاً) وقوله: (من إيجاباً وقبولاً)، وقوله: (والبائع والمشتري صحيحي العقل والبدن جائزي التصرف).

ولرفع الملام عن (الملا بن سيف) في عدم معرفته بالنحو نقول: إن

دراسة النحو في تلك العصور كانت قليلة، حتى إن بعض القضاة وطلبة العلم يجد المرء اللحن في كلامهم، وهذا ظاهر من مراجعة النصوص التي كتبوها، فكيف بغيرهم؟.

* * *

وثيقة أخرى مهمة:

وأهميتها تنبع من أمور:

أولها: أن أصل الواقعة التي تحدثت عنها الوثيقة حدث في ناحية خارجة عن منطقة القصيم، وداخلة في حدود المدينة المنورة، ولذلك صار أمر حلها يهم حاكم المدينة أو على الأدق المسئولين عن الإدارة في المدينة المنورة كما يهم أهل بريدة والرس.

ثانياً: أن الحادثة بين جماعة من أهل القصيم أنفسهم فالرس كان ولا يزال جزءاً من القصيم، ولولا الحكمة في التصرف وحرص القيادة في القصيم على أن يأخذ الأمر مأخذاً نظامياً شرعياً، أو بالتعبير الحديث صبغة قانونية لكان بإمكان أمير بريدة وهو أقوى من الرس بمهاجمة الرس والاقتصاص من الفاعلين، وطبيعي أنه لو حصل هذا فإنه سيترتب عليه سقوط قتلى من الطرفين، وشرخ بين أهل الرس والقصيم وهم جميعاً ينتمون لقيادة واحدة، لذلك حاولوا إنهاء المشكلة بهذه الطريقة الشرعية.

ومعلوم أن الخصومات والمنازعات في تلك العصور يرجع فيها إلى حكم الشرع بعد أن لم يمكن حلها صلحاً كما سيأتي نقله عن الإخباريين.

ويتبقى أن إطلاق لفظ (أهل الرس) وأنهم الذين قاموا بذلك العمل لا

يراد به كل أهل الرس كما لا يراد به أن قادة أهل الرس من أمير وكبار جماعة هم الذين فعلوا ذلك، وإنما هم جماعة قاموا بهذا العمل في منطقة بعيدة عن القصيم، ولا ندري أعرفوا أن الحَمْل الذي هاجموه هو لأهل بريدة قبل أن يقوموا بذلك العمل أيضاً.

ثالثاً: إن كلمة الحَمْل المذكورة في الوثيقة هي بفتح الحاء وإسكان الميم تعني القافلة من الإبل التي عليها البضائع مثل الحَمْله بفتح الحاء وإسكان الميم أيضاً مع الهاء المؤنثة في آخره.

رابعاً: أن إنهاء القضية جاء على هيئة صك شرعي ضم عبارات لم تكن مألوفة في الصكوك التي تسجل فيها القضايا في نجد في تلك الأزمان، بل إنه لم يكن من المعتاد السائر أن تسجل الأحكام الشرعية بهذه الطريقة، وإنما كان القضاة يصدرون الأحكام شفهية ويطلبون من أمير البلدة أو حاكمها أن ينفذ الحكم فوراً، وقد اعتاد الناس على تنفيذه فوراً، فإن لم يفعل الأمير ذلك رجع المحكوم له فوراً إلى القاضي فأبلغه فيذهب القاضي إلى الأمير ويلزمه- أدبياً بتنفيذه، وإذا لم يفعل الأمير أو الحاكم ذلك فإن القاضي يستقيل أو يهدد بالاستقالة، وذلك أمر لا يحتمله الأمير، لأنه يترتب عليه اختلال حكمه إذْ عامة الناس سيؤيدون القاضي.

وحتى إذا قبل الحاكم في نفسه استقالة القاضي أين له أن يجد قاضياً يحل محله؟ فالعلماء قلة، وهم- أيضاً- لا يتسلمون رواتب من الأمير ولا من غيره، وإنما يعيشون من غلات العقار والأراضي الموقوفة على القاضي أو

على إمام المسجد الجامع، ويكون القاضي هو إمام المسجد الجامع في المعتاد.

وفي هذه الحالة بالذات حالة كون القاضي هو الشيخ سليمان بن علي المقبل فإنه الذي أوقف جماعة من ملاك النخيل والآبار الزراعية في بريدة وما حولها أوقافاً تصرف له ولمن بعده ممن يتولى القضاء، وإمامة المسجد الجامع وقد ذكرت ذلك في ترجمته من (معجم أسر القصيم).

ومن تلك العبارات غير المألوفة ما ورد في الوثيقة وإن كانت صحيحة مثل (مجلس الشرع الشريف) و(حضور أبوبكر ناصر أفندي معاون ديوان الحكومة) أي الحكومة في المدينة المنورة.

و(قال ذلك وحكم به خادم الشرع الجلي سليمان بن علي بن مقبل الحنبلي قاضي رستاق القصيم حالاً).

ولا شك في أن إيراد هذه الألفاظ وصيغ الحكم بها يرجع سببه إلى وجود ممثل الإدارة في المدينة المنورة التي كان صدور الأحكام في صكوك فيها يكون بصفة مطولة، ووفق صيغ وألفاظ مألوفة، وأن هذا الحكم سوف يسجل في الدوائر الرسمية في المدينة المنورة.

خامساً: أن الملا عبدالمحسن بن سيف اختير لكتابتها لجمال خطه وضبطه في عباراته رغم كونه قد أسن- وقد مات بالفعل- بعدها بمدة يسيرة.

وقد أفادنا اختيار الملا ابن سيف لكتابتها فائدة أخرى وهو أنه كتب وثيقة أخرى مختصرة تضمنت المهم مما في الوثيقة الرئيسية وتفصيلات أخرى مفيدة لنا مثل ذكر الذين حضروا مع حسن بن مهنا أمير بريدة في المجلس، وكان أجمل ذكرهم في الوثيقة الأساسية، وربما كتب هذه الوثيقة لتكون لدى أحد الطرفين الذي لم يحصل على الوثيقة الأساسية.

* * *

وهذا نص الوثيقتين:

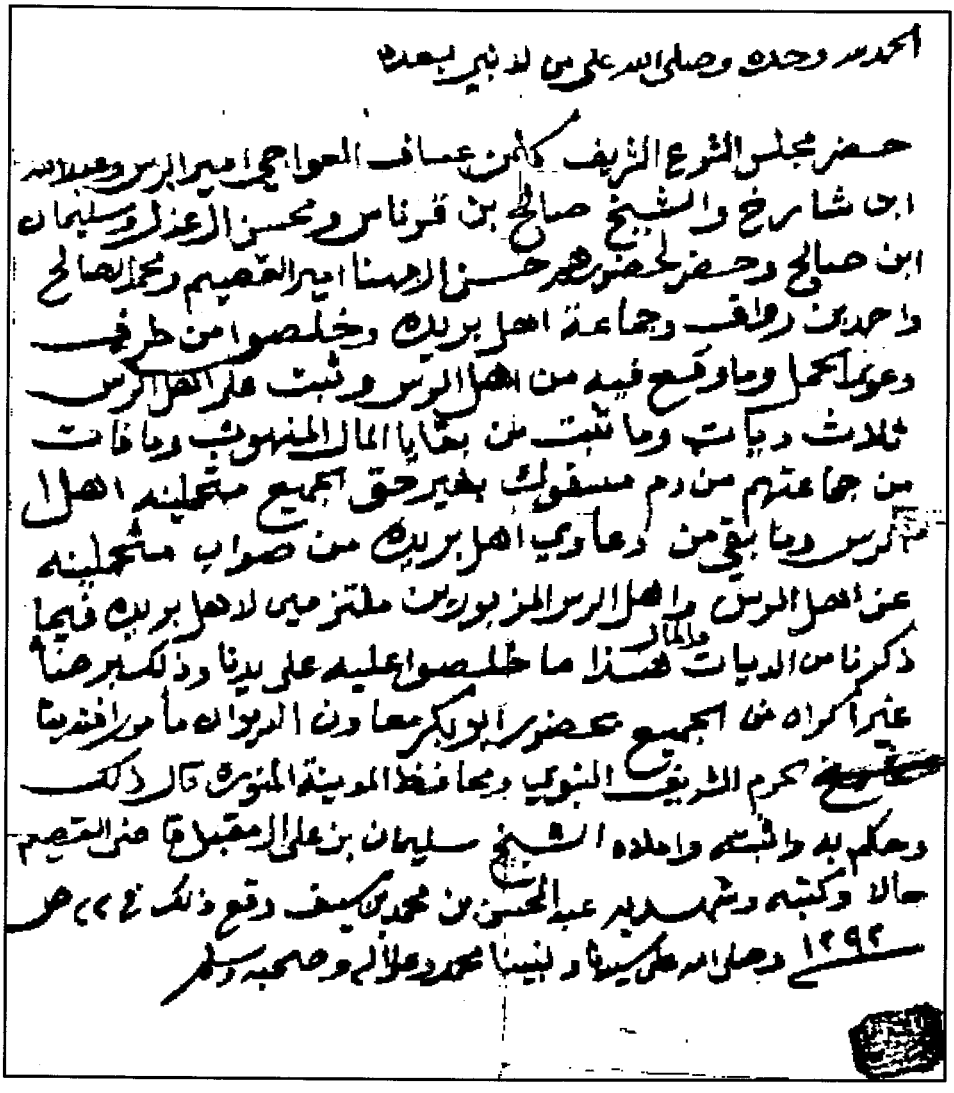

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

حضر مجلس الشرع الشريف كاتبه عساف المعواجي امير الرس وعبد الله ابن شارخ والشيخ صالح بن قرناس ومحسن الرعدل وسليمان ابن صالح وحضر الحضور شهر حسن الرمضا امير القصيم ومحمد الصالح واحمد بن رواف وجماعة اهل بريدة وخلصوا من طرف وعوا اكمل وما وقع فيه من اهل الرس وثبت على اهل الرس ثلاث ديات وما ثبت من بقايا المال المنهوب وما فات من جماعتهم من دم مسفوك بغير حق الجميع متحملينه اهل الرس وما بقي من دعاوي اهل بريدة من صواب متحملينه عن اهل الرس واهل الرس المزبورين ملتزمين لاهل بريدة فيما ذكرنا من الديات والمال هذا ما خلصوا عليه على يدنا وذلك برضا غير اكراه من الجميع بحضور ابو بكر معاون الرواه ما مر افندينا [illegible] كرم الشريف النبوي ومحافظ المدينة المنورة قال ذلك وحكم به واثبته واعاده الشيخ سليمان بن علي المقبل قاضي القصيم حالا وكتبه وشهد به عبد المحسن بن محمد بن سيف وقع ذلك في ٢٧ من ١٢٩٢ وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده

حضر مجلس الشرع الشريف كاتمن الامير حسن المذكور وجماعة
من اهل بريدة وحضر لحضورهم الامير سيف العواجي والشيخ
صالح القرناس وعبد الله بن شارخ وحمود العذل وسليمان
ابن صالح وتداعوا من جهة اهل حمد اهل بريدة الي تجرا عليه
اهل الرس وما وقع فيه من قتل رجال واصابة وسب وما بقي من
المال عند اهل الرس وما قتل من اهل الرس وما جرح منهم بغير
حق وخلصوا على ان اهل الرس يسوقونه لاهل بريدة ثلاثمائة
وبات وما بقي من المال كل دية ثمانمائة ريال فرانسيه وايضا
يتحملون لجاعاتهم ما قتل منهم وما جرح لانهم هم المعتدين
هذا ما خلصوا عليه برضاهم اجميع على يدنا بحضور ابوبكر
ناصر افندي معاون ديوان الحكومة في المدينة المنورة و
شهادته قال ذلك وحكم به خادم الشرع ابو سليمان بن علي
ابن عقيل الحنبلي قاضي ريشاق القصيم حال وكتبه باملائه
عبد المحسن بن محمد بن سيف وبعد صدور الحكم ورسم طلبوا
اهل الرس المذكورين من الامير حسن وجماعته السماح و
المعاونة بشي يستعينون به على ما نابهم لجاعتهم فسامح عنهم
بدية واحدة وما بقي من المال لانه شي يخفى عليهم حاشا ما بات
عندهم من السلاح او البعير فصار الباقي عليهم الف وستمائة
ريال فقط لاغير حلولها في ربيع الاخر سنة ١٢٩٤ وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم

ويلاحظ ما يلي:

أولاً: أنه ذكر فيها ممن حضروا مع الأمير حسن المهنا من أهل بريدة عمه محمد الصالح، وهو محمد بن صالح بن حسين أبا الخيل، لأن حسن هو حسن بن مهنا بن صالح الحسين أبا الخيل، وأحمد الرواف وهو أحمد بن عبدالرحمن الرواف و أبوه عبدالرحمن الرواف هو أول من أستوطن بريدة من أسرة الرواف جاءوا إليها من العيينة قرب الرياض قبل احتلال الدرعية من قبل جنود إبراهيم باشا في عام ١٢٣٤، وكان قدوم عبدالرحمن الرواف إلى بريدة في عام ١١٨٠هـ.

وقد ذكرت ذلك عند الكلام على أسرة (الرواف) من كتاب (معجم أسر بريدة).

ولا شك أنه حضر أكثر من هؤلاء ولكن ذكرهم ليست له أهمية في نفوذ الوثيقة لأن أمير القصيم يمثل الجميع، وذكر عبارة (وجماعة من أهل بريدة) كاف عن ذلك.

أما أسماء الذين حضروا من أهل الرس فلم تتغير في الوثيقتين.

إلا أنه لوحظ شيء شكلي في الفرق بين الوثيقتين، وذلك أنه في الوثيقة المطولة تقديم ذكر حسن بن مهنا وأهل بريدة على أهل الرس، وفي الثانية قُدم ذكر أهل الرس، وربما نفهم من ذلك أن هذه النسخة التي لم تختلف عن الأولى بشيء أساسي هي معدة لأهل الرس خاصة.

وكتابة الوثيقة المطولة نوعاً متأخرة عن كتابة الوثيقة الأولى بأيام قليلة، إذْ كتبت الأولى في ٢٢ صفر عام ١٢٩٢هـ وكتبت الثانية المطولة في ربيع الآخر ١٢٩٢هـ، مما قد يقوي القول بأن كتابة الأولى وهي المختصر كانت تحتاج إلى بسط وصياغة خاصة لكي تتماشى في الشكل مع ما هو معمول به في كتابة الوثائق في المدينة المنورة، والفرق بينهما في تاريخ الكتابة هو أيام إذا كثرت بلغت شهراً.

* * *

ماذا يقول الإخباريون:

يقول الإخباريون من أهل بريدة: إنه عندما علم مهنا الصالح أبا الخيل أمير القصيم بما حصل على الحَمْل المذكور طلب من أمير الرس وجماعته أن يسلموا إليه المسئولين عن هذا العمل وأن يتحمل أهل الرس ديات القتلى من أهل بريدة، وأن يدفعوا المال الذي أخذ من الحمل ويعوضوا أهل بريدة عما تلف أو خفي منه، وقد شدد في ذلك، ونزل بأهل الرس أمر عظيم، إذْ من الصعب عليهم أن يسلموا جماعتهم، كما صعب عليهم أن يدفعوا الأموال التي فقدت، وذلك لصعوبة جمع النقود في ذلك الوقت.

وقد تلكأوا في ذلك وأظهر الأمير مهنا الصالح أنهم إذا لم يفعلوا ذلك فإنه سوف يغزوهم.

وقد تدخل في الصلح بين الطرفين جماعة من أهل القصيم من أهل عنيزة والخبراء واتفقوا على أن يجتمعوا في مكان مناسب من أعلى القصيم، وذلك في محاذاة البكيرية من جهة الجنوب فخرجوا ومعهم الساعون بالخير من أهل القصيم، وكان في الجماعة المعنيين للنظر في الصلح من أهل بريدة حمد بن إبراهيم بن جاسر والد الشيخ إبراهيم بن حمد الجاسر العالم المشهور الذي تولى القضاء في بريدة وعنيزة، وهو- أي حمد بن جاسر- رجل ثري ووجيه، وربما كان له شيء مما في الحمل المذكور.

قالوا: فاجتمعوا في أول ليلة ولكن لم يجر شيء من الصلح لأن (حمد بن جاسر) تأخر، وكان أهل بريدة يقولون: ما جاء به جاسر؟ اصبروا حتى يجي ابن جاسر، أي يكثرون من ذكره.

ثم جاء ابن جاسر، وهو يعرج برجله، لأن إحدى رجليه أصيبت في

حرب وكسرت وقصرت عن الأخرى بعد أن جبرت.

ثم جاء (ابن جاسر) وعليه (مشلح) ليس بذاك، فقال أحد الحاضرين من أهل الرس ممن لا يعرفون مكانة ابن جاسر: كيف نتأخر ولا نبدأ بالكلام على شأن هالعرج- أي الأعرج- فسمعه ابن جاسر، ويقال: إنه أبلغ بذلك، فقال عندما اجتمعوا: اسمعوا يا أهل الرس: لا يمكن يصير بيننا وبينكم صلح إلا إذا أحييتم رجالنا اللي ذبحتموهم!!! فاحتد الجميع، وانفض الاجتماع دون نتيجة.

وهنا قرر مهنا الصالح فيما قيل أن يغزو الرس، وجهز لذلك جيشاً خرج إلى مسافة ٢٥ كيلومتراً شمال بريدة وبقي ينتظر بعض الأشياء، وكان فيه جدي عبدالرحمن بن عبدالكريم العبودي كما حدثني به والدي عنه، مما لا يتسع هذا المقام له، ولم يظهر للناس أنه يريد الرس، ثم قتل مهنا الصالح وهو خارج لصلاة الجمعة يوم ١٩ محرم في عام ١٢٩٢هـ، لذلك عاد الجيش إلى بريدة لأنه كان بقيادة ابنه حسن بن مهنا الذي أصبح أمير القصيم بعده.

وقد طلب أهل الرس، وبعض العقلاء ممن لهم شيء في ذلك الحمل إحالة قضيتهم إلى الشرع فحكم فيها الشيخ سليمان بن علي المقبل.

* * *

وثيقة أخرى:

هذه وثيقة تضمنت مبايعة بين أخت الملا ابن سيف وهي لطيفة بنت محمد بن سيف وبين العالم المشهور الشيخ محمد بن عمر بن سليم، وكان شهوده من الأسرة وهما أخوهما سليمان وابنه محمد بن سليمان.

وقد توجها الملا ابن سيف بجملة (الحمدلله حق حمده) وهي جملة ترد في راس أكثر وثائقه، أو كثير منها، وتارة يجعل بديلة منها جملة (الحمدلله وحده).

وهذه هي:

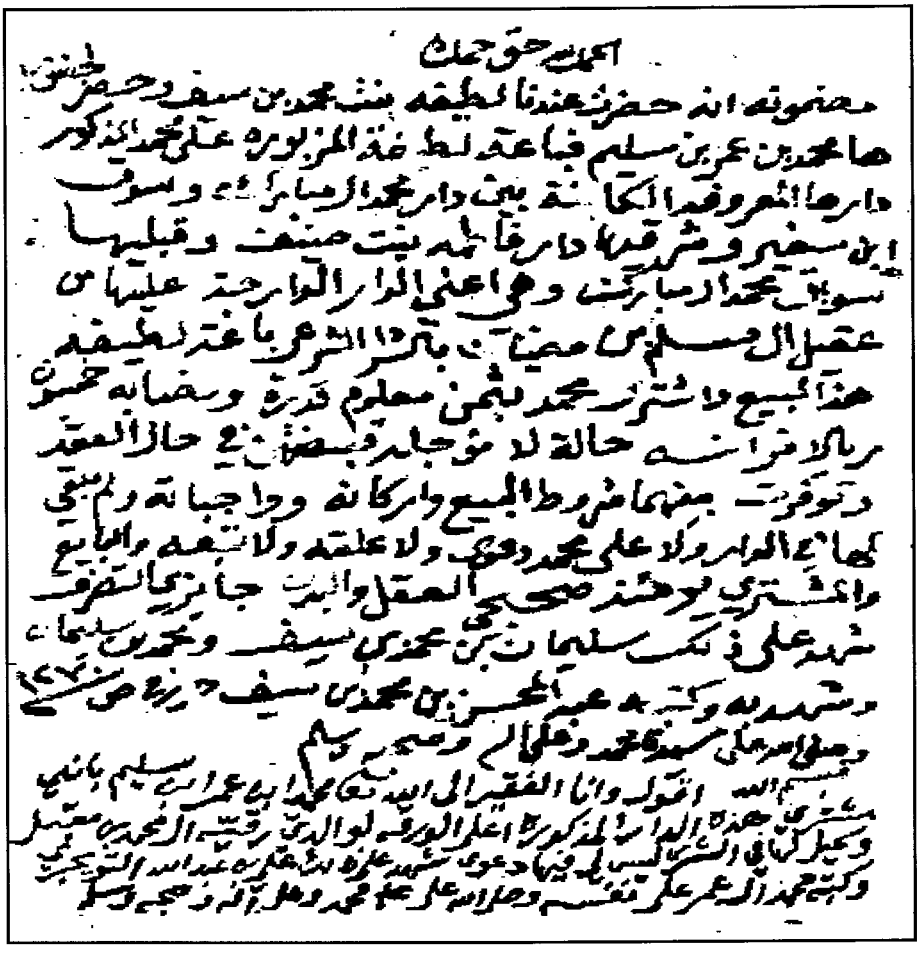

والمبيع هو دار للطيفة السيف مما يدل على ما نعرفه من ثراء لهم لاسيما أن زوجها هو سليمان بن صالح السالم الثري المعروف الذي تكلمنا عليه عند الكلام على الوثائق التي كتبها سليمان بن سيف.

والذي بلغنا من أشياخنا أن محمد بن سيف والد الملا عبدالمحسن هو ثري أيضاً، والوثيقة مؤرخة في صفر ١٢٧٠هـ.

واللافت للنظر فيها بالنسبة لمن يقرأها الآن ممن لا يعرفون أسلوب الكتابة القديمة ولا معاني بعض الكلمات القليلة أمور:

الأول: كلمة (المزبورة) في جملة (فباعت لطيفة المزبورة) فالمراد بالمزبورة: المذكورة، لأنه ذكر اسمها من قبل غير أنه ضن بكلمة (المذكورة) عليها لأنه وصف بها الشيخ محمد بن عمر بن سليم.

والمزبور: معناها المذكور أصلها المكتوب في الزبور وهو الكتاب، جمعه زبر وهذا لفظ قرآني بمعنى أنه وارد في القرآن الكريم للمفرد والجمع، بلفظ (زبور) و(زبر).

والمراد بكونها مزبورة أن اسمها ورد قبل ذلك في هذه الوثيقة.

الثاني: قوله (قدره ونصابه) فنصابه معناه: المقدر له مثل (النصاب) في الزكاة معناه تحديد مبلغ معين على مقدار معين من المال الذي تجب فيه الزكاة، فنصابه: اصطلاح لم يعد يذكر في الوثائق الحديثة عندنا لأنه ليس ضرورياً.

الثالث: قوله حالّة غير مؤجلة، فالحالّة هي غير المؤجلة، ولكنه ذكر ذلك على عادة كتاب الصكوك في مدن الأمصار، وهو أيضاح طيب لكنه غير ضروري.

ومثله قوله: (ليس لها في الدار ولا على محمد دعوى ولا علقة- بمعنى علاقة) ولا تبعة- أي ولا عليه أي تبعة من جهتها.

الرابع: اللحن الوارد في الوثيقة وهو قوله: (لم يبقى) إثبات الألف مع وجود الجازم وهو (لم) والصحيح لم يبق.

وقوله: (والبائع والمشتري يومئذ صحيحي العقل والبدن، والصواب صحيحا، لأنه مرفوع، وقبله، جائزي التصرف والصحيح جائزا التصرف.

أما الشهود المذكورون على البيع وكذلك الأشخاص الذين ذكروا لمناسبة تحديد البيت ببيوتهم أو أسواقهم بمعنى أزقتهم فهم:

محمد أل مبارك ومحمد آل مبارك هو من آل مبارك الذين هم فرع من أسرة السالم الكبيرة أهل بريدة القدماء.

وابن سْفَيِّر، و(السفير): أسرة صغيرة من أهل بريدة عرفنا منهم شخصياً حمود السفير مؤذن مسجد المشيقح الذي كان يقال له في القديم مسجد عيسى، وقد استمر بن سفيِّر يؤذن فيه. وورد في بعض الوثائق اسم جده وسميه (حمود السفير) أيضاً وسيأتي ذلك.

وفاطمة بنت حنيف ولا أعرف عنها شيئاً.

وعقيل آل مسلم بن مضيان أبوه اسمه مسلم وليس من (آل مسلم) بمعنى أسرة المسلم فهو من المضيان الأسرة الكبيرة التي يرجع نسبها إلى (آل مضيان) من عنزة، وتفرع منها عدة أسر منها الوشمي والحمر والغليقة.

* * *

وثيقة أخرى:

هذه الوثيقة مؤرخة في ٢٧ صفر عام ١٢٦٣ وهي وثيقة مبايعة بين طرفين أحدهما اثنان من أبناء رْشَيْد ابن عمرو، والثاني، عبدالكريم الحماد.

وتدل هذه الوثيقة على أن الملا ابن سيف رغم خطه الجميل وتحذلقه في كتابته فإنه لا يعرف النحو، ففي سطر من الوثيقة كتب: حاصل ذلك أنهما (حضرا) عندي الرجلان الأمثلان، فجاء بالفعل على لغة أكلوني البراغيث، وهي لغة عربية ضعيفة، بل عد من استعملها لاحناً أو قد غلط غلطاً شديداً.

والفصيح من حيث الأسلوب قوله: الرجلان الأمثلان الذي يدل على أنهما في حالة جيدة لعقد البيع والصلاحية لذلك.

و(المقطر) هو الصف المنتظم من النخل، فإذا كان النخل مجتمعاً وليس على هيئة صف لم يسم (مقطراً) والثمن معروف وهو خمسون ريالاً فرانسه.

أما الأسماء المذكورة فهي واضحة معروفة ماعدا واحداً وهو عبدالله آل حمد المكنى بأبوجندل و(المكنى) تعبير فصيح لأن الكنية عند اللغويين ما صُدِّرَ بأب أو أم.

وأول الأسماء صلطان وعلي ابنا رْشَيد بن عمرو، و(رْشَيْد) هي بإسكان الراء وفتح الشين على لفظ تصغير (رشْد) بلغتهم العامية، وهي تشتبه في الكتابة برشيد التي هي مكبرة على وزن فعيل ومعناها: ضد سفيه.

وآل عمرو: أسرة من أهل بريدة معروفة.

أما عبدالكريم آل حماد فإنه شخص معروف مهم، فهو وجيه وثري وهو من آل حماد الذين هم من آل سالم الأسرة الكبيرة القديمة السكنى في بريدة.

والشاهد هو عبدالله آل علي الرشودي وهو رأس أسرة (الرشودي) أهل بريدة وأول من سكن منهم في بريدة وكل (الرشودي) أهل بريدة من ذريته كما أوضحنا ذلك في موضع آخر.

الحمد لله وحده

مضمونه انه حضرت عندنا الكرة اجابزة النصر فحمدت عبد الله احمد
الخلام عيال بن طوبان وحضر لحضورها منا الصالح فباعه حصته
المذكورة على منا المزبور نصيبها من اهلاك ابيها عبد الله الحمد في
خيام المسماخب تنيان وهو سهم من اثنين وعشرين سهم سوى
الثمين واشترى منا بثمن معلوم قدره وقبضه به حمد الله وزنه
تمروا شني عشر ريالا فرانسه التمر دين حالا ثابت في ذمة ابيها
والدراهم وصلتها في حال عقد البيع واكلك البيع جزء معروف بين
البايع والمشتري بجميع ما يتعلق من ابيار وحراث واصول وحدود
والراحي حيد وميته وطرق وغيرها والملاك البيع منها فقد انتقل
معلوما محدودات بين البايع والمشتري وهي الثمانيا والجزيرات
الكفى جميع ارثها من ابيها حال كذا معلوما في حب شنان ولم يبق لها
في الملاك المذكور ولا في ذمة منا دعوى ولا علقة ولا تتعقب شيء على ذلك
جماعة من المسلمين منهم سعيد بن عبد الله النوبجري ومحمد بن صالح
آل حسين وعلى عبد الله الصالح قال ذلك وشهد به وانشه بخطه
وعبد الله بن سليم وكتبه وشهد به بملائه عبد المحسن بن
سيف وقع ذلك في ٢٥ شعبان سنة ١٢٨٣ وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

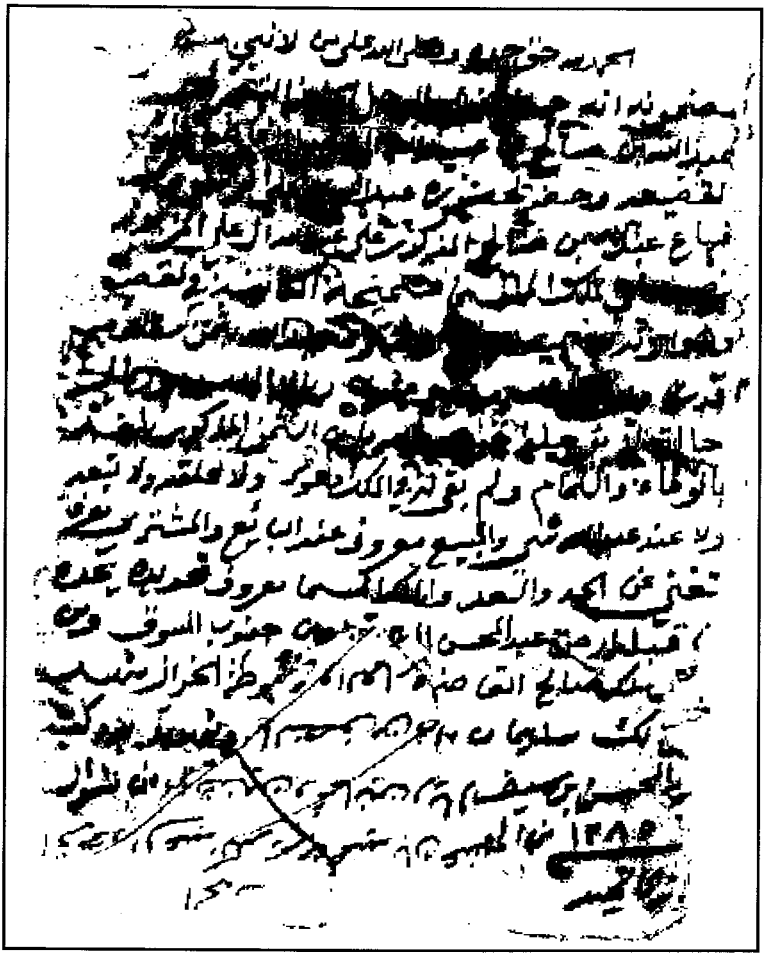

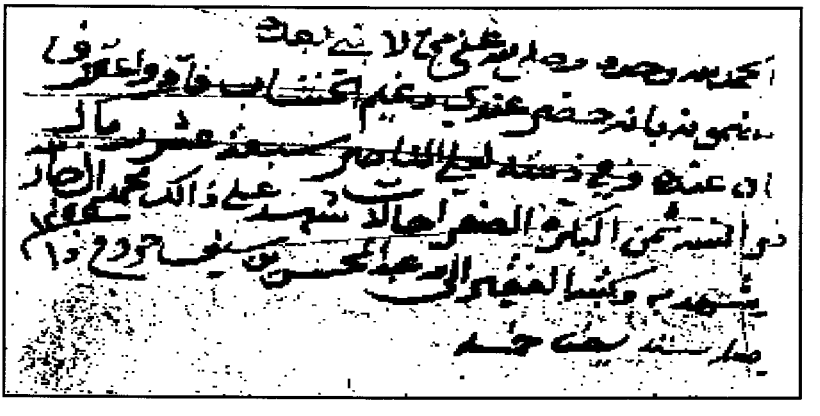

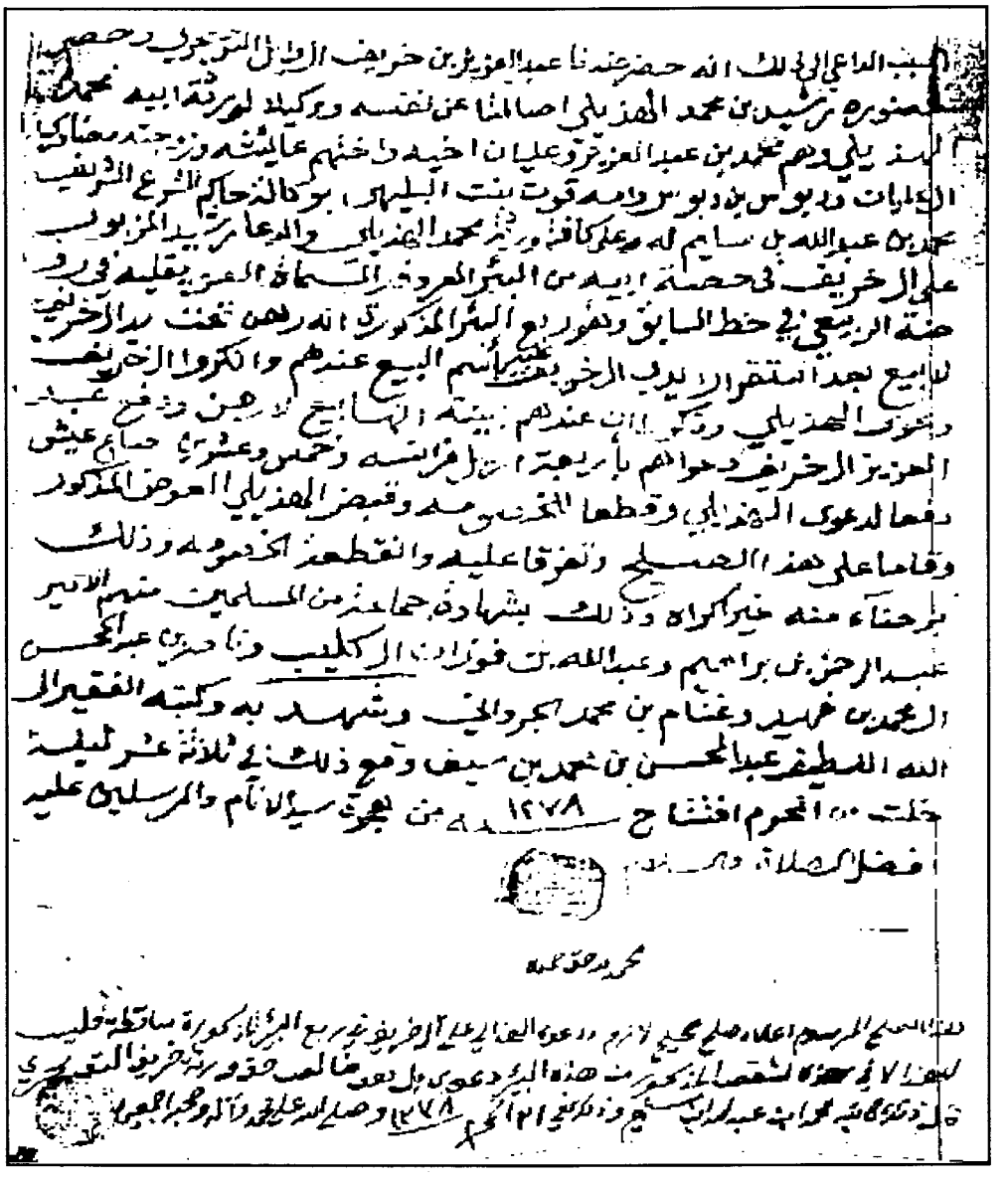

- ١١٨ -

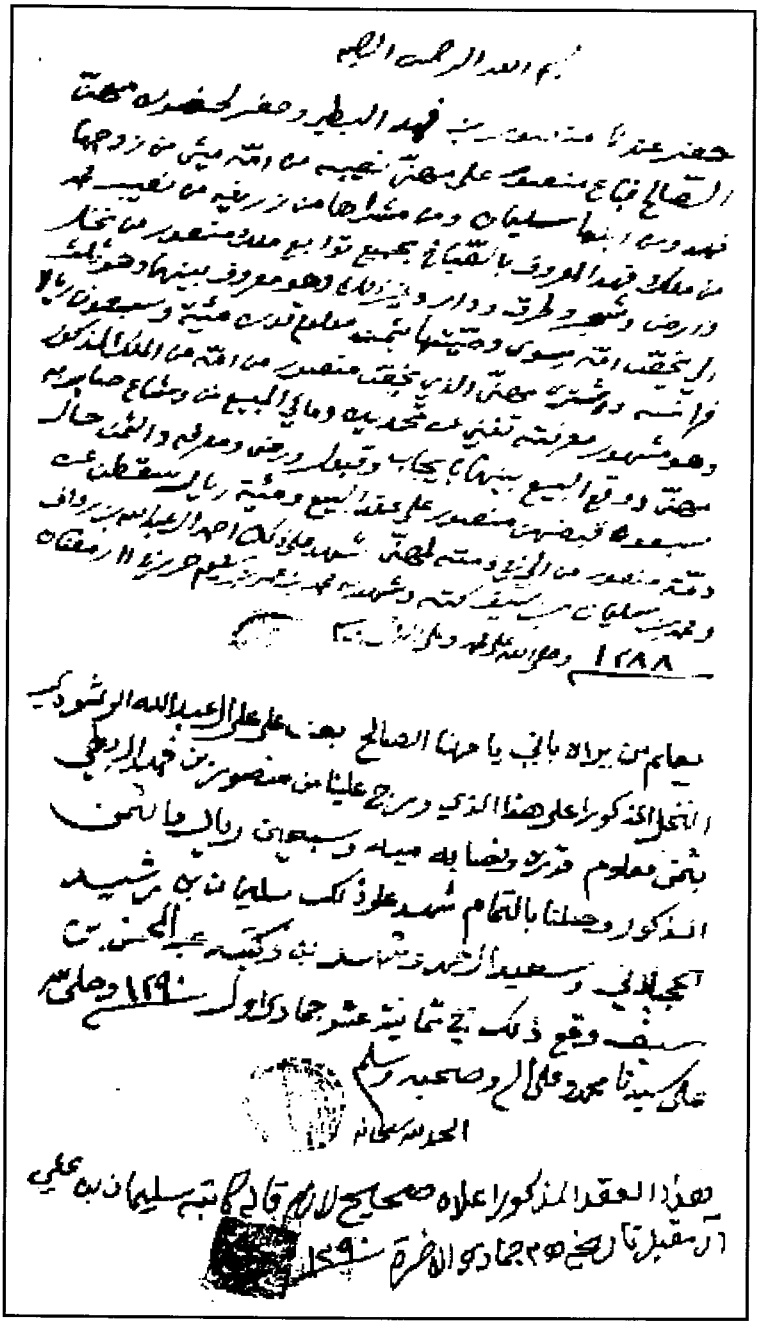

بسم الله الرحمن الرحيم

حضر عندنا من اشتراه من ... فهد البطيء وحضر لحضرته ... الصالح فتاح منصور على ... نصيبه من ... من ... فهد ... ابنا سليمان ... من ... من ... فهد ... من ... ملك فهد المعروف بالفتاح بجميع توابع ... منصور من ... ارض وشجر وطرق ودار ... المعروف بينهما ... الحقوق ... وشهد ... ثمانية ... وسبعون ... فرائضه ... ثمانية ... ومائتي البيع من ... وهو مشهد معرفته ... وقع البيع بينهما ... وقبله ... ومعرفه ... ثمانية ... وسبعون ... منصور على ... البيع ... منصور من ... ومحمد بن سليمان ... وشهد ... ١٢٨٨ ...

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه يا ربنا الصالح ... على عبد الله الرشود ... الذكور على هذا الذي ... من منصور بن فهد البطي ... بثمن معلوم قدره ... ميله وسبعون ريال ... الذكور وصلنا بالتمام ... ذلك سليمان بن ... الجلادي وسعيد الحمد ... وكتبه عبد المحسن بن ... سنة وقع ذلك ... ثمانية عشر جمادى الاولى سنة ١٢٩٠ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله وحده

هذا العقد المذكور اعلاه صحيح لازم قائم كتبه سليمان بن علي ... مقبلا تاريخ ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٠

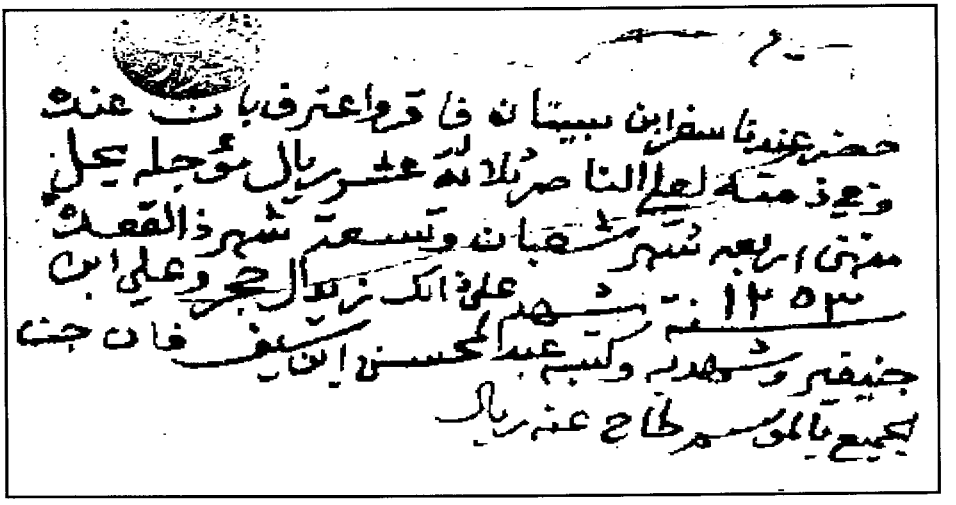

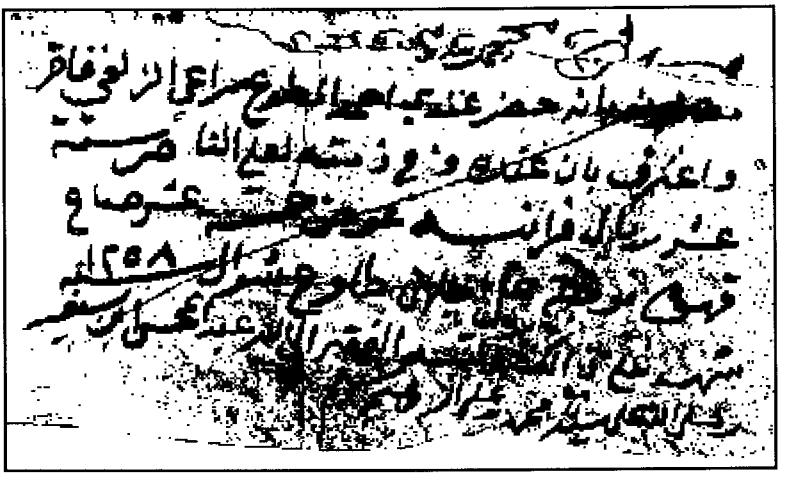

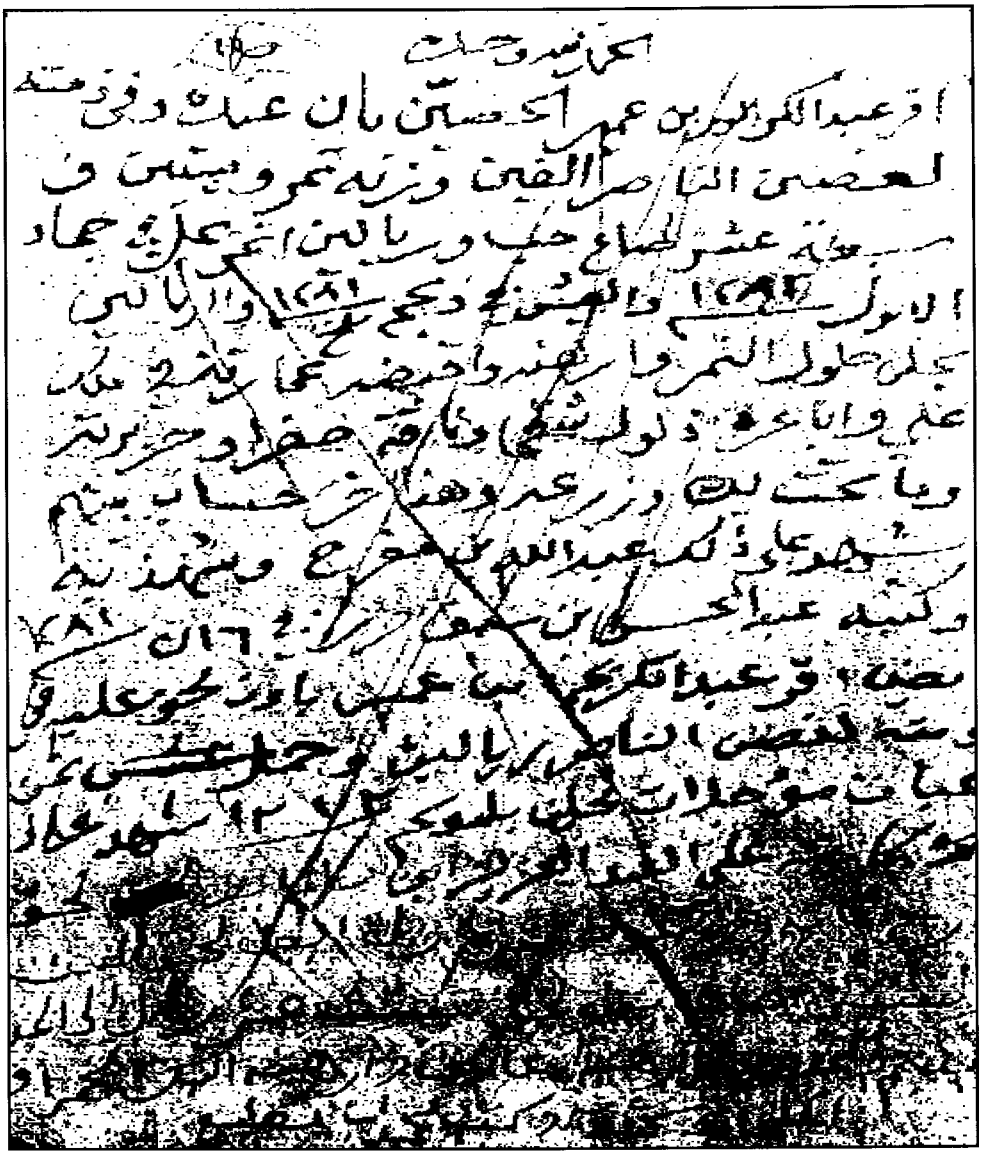

عبدالمحسن السيف.. التاجر

عرفنا أن الملا عبدالمحسن بن يوسف ثري له عقارات وهو يداين الفلاحين وغيرهم، وإن لم يكن في ثراء الأثرياء الكبار في زمنه مثل محمد الربدي وعلي بن ناصر السالم وأخيه غصن بن ناصر، وقد عرفنا ثراءه من مصدرين أولهما: الوثائق التي تدل على أنه أشترى عقارات أو باعها بقصد التكسب والتجارة، وثانيهما من كثرة الأموال التي خلفها و وصلت إلى أولاده من بعده.

وهذه نماذج من الوثائق المتعلقة بتعاقداته، ومبايعاته.

أما المتعلقة بأولاده فستأتي في فصل الكلام على أولاده فيما بعد بإذن الله.

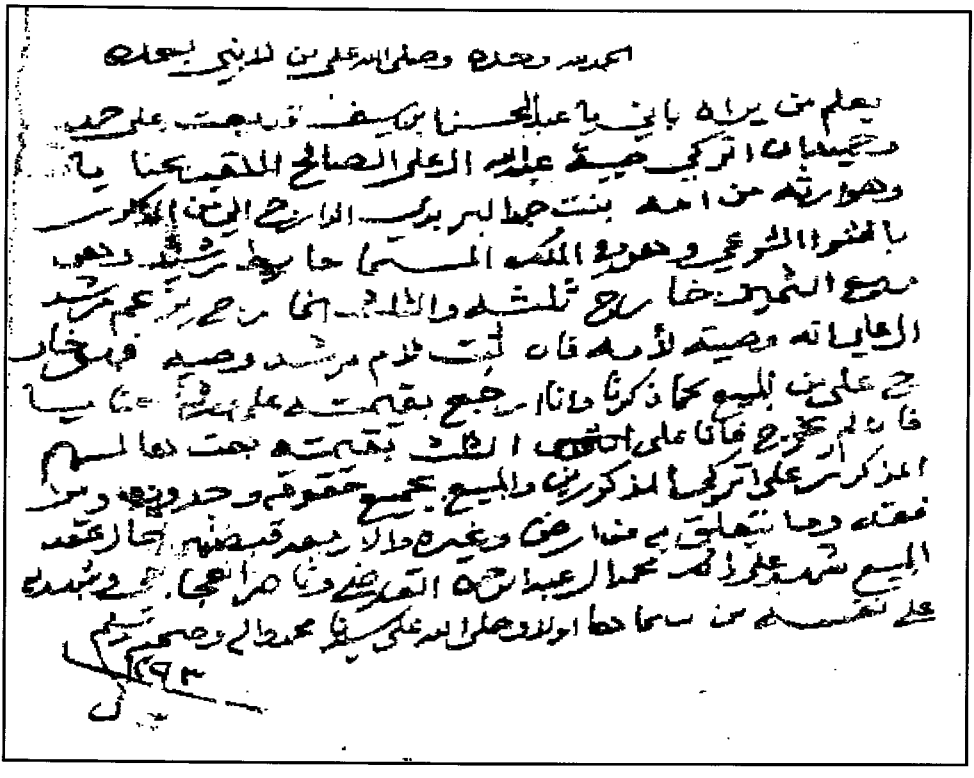

بسم الله الرحمن الرحيم

حكم عندي عبد المحسن بن محمد بن سيف وحضر لحضوره علي بن راشد آل زايد
التغيمي وبايع علي علي عبد المحسن ملكا تمبرا اشترى الكائن في هميل
صباح بريدة باع جميع نصيبه فيه لاشتر من ملكا آل زايد المذكور
ما يخصه من هذا الملك على طريق الاصالة ونصيبي شركاء من وكالة
اشتر على طريق الوكالة وهذا المبيع معلوم بين البايعين معروف
معرفة تامة مغنية عن الوصف والحد فباع على هذا المبيع وما يتبعه
من ارضا وبير ونخل واثل وطريق ودار وغير ذلك واشترى عبد المحسن
بثمن معلوم قدره مايه وعشرون ريالا وعلي بانه بلغه الثمن
بالتمام والكمال شهد على ذلك عبد الله الصالحي وشهد به وكتب
واثبته سليمان بن علي آل مقبل تاريخ ٨ ربيع الاول عام

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه بانها حضرت عند الحرة الجايزة التصرف سلمى بنت
زايد التغيمشي واقرت بانها باعت على عبد المحسن بن محمد بن سيف
نصيبها من حيالة ملكه المعروف في هميل صباح بريده والمبيع
نصف الحمى من الحيالة المذكورة بثمن معلوم قدره وعندايم
ستة ريال قرانسه وبلغها الثمن حالة قد البيع شهد على ذلك
عبد الله العلي الرشودي وعبد الرحمن الحيثل وعبد الكريم
التغيمشي وشهد به كاتبه سليمان بن سيف

الحمد لله وحده

فد حضر عندنا عبد الكريم التغيمشي وحضر لحضوره عبد المحسن بن سيف
فباع عبد الكريم على عبد المحسن باقي نصيب سلمى بنت زايد التغيمشي من حيالة
ابيعا في ملكهم المعروف في هميل بريدة انتقل منها بالشرا التغيمشي
ثم انتقل ايضا بالشرا الى محمد بن عبد الكريم بالشرا من وكيله
لمقعاد بن سليمان انتقل الى عبد الكريم بالارث

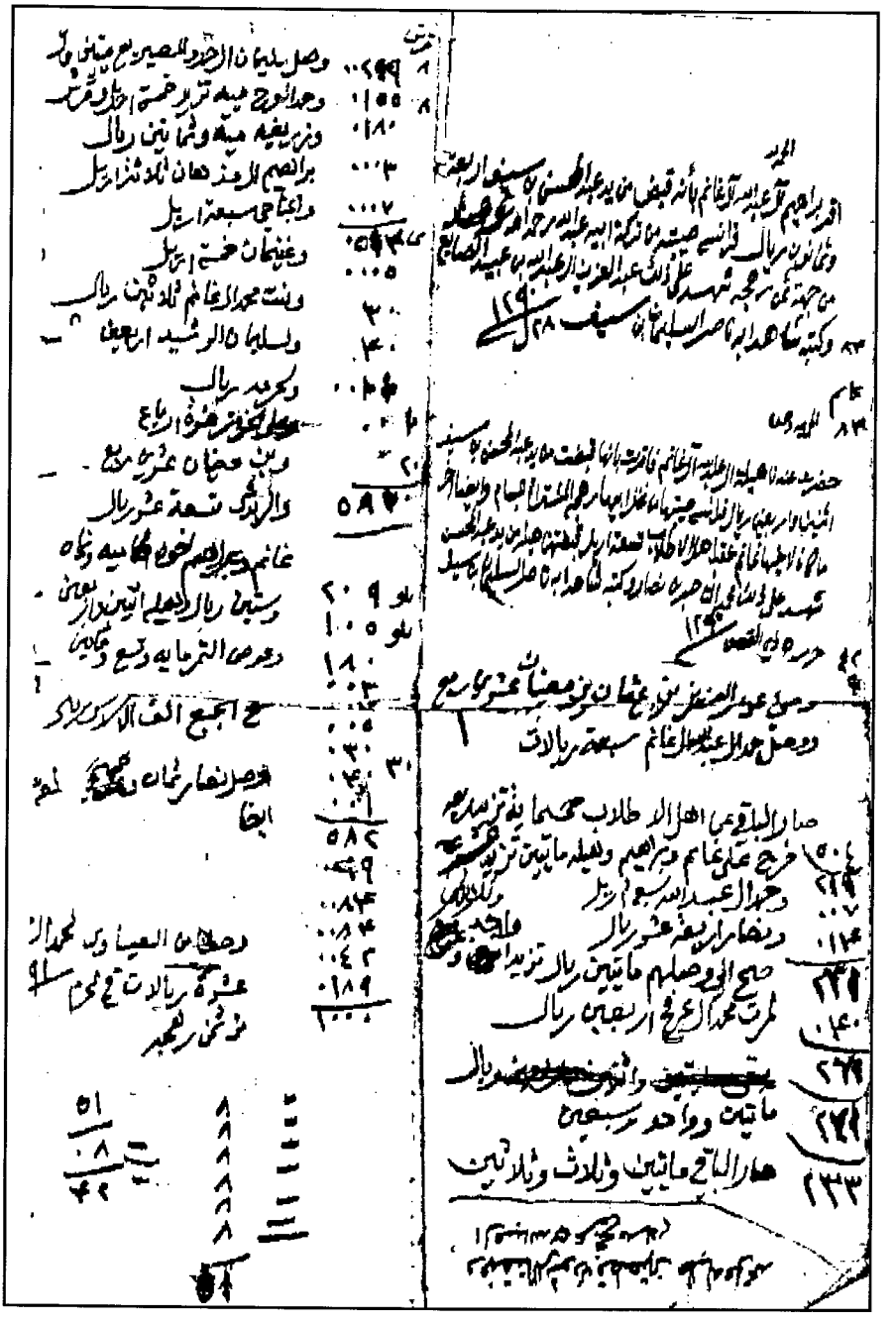

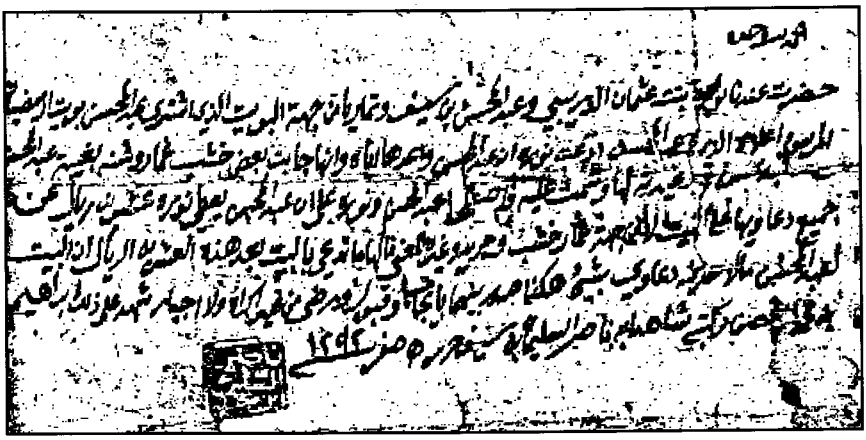

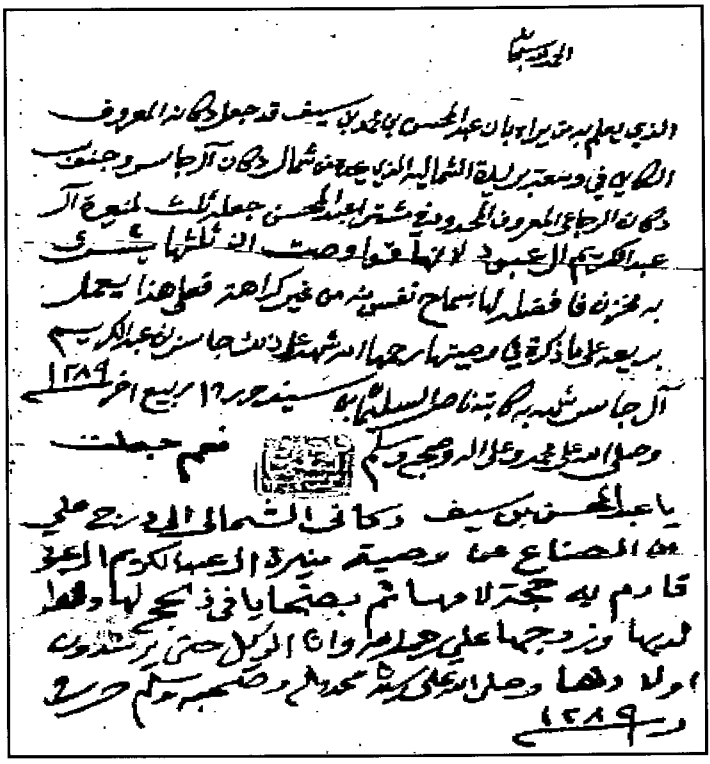

أخبار الملا ابن سيف

أخبار الملا ابن سيف:

نسيت العامة خط ابن سيف ونسيت أسلوبه المتميز في الكتابة، بعد أن كانت ذكرته من قبل، ولكنها لم تنس أخباره التي هي طرف ونوادر ودعابات تروى في المجامع، ويتحف بها السمار والمتنادمون، وقد ضاع معظمها من الجيل الذي تلا جيله المعاصر له، ولذلك وصل إلينا شيء منها مصحوباً بتنويه العامة بحكاياته ونوادره، ووفرة حيلته، ووجاهة قدره عند أمراء عصره.

أما الجيل الذي تلا ذلك وهو جيلنا ومن خلفنا من الناس رغم وجودنا فإن تلك الأخبار فقدت من ذاكرته مثلما فقدت أخبار كثيرة مهمة من أخبار البلاد وأهلها.

ولو كان الملا ابن سيف وهو الكاتب المتأدب الذكي سجل لنا بخطه أو حتى بخط غيره شيئاً من نوادره أو من أخباره مع معاصريه، أو حتى من الأخبار العامة، لكان ذلك ثميناً بل لاستحق أن يكتب بماء الذهب لأن المعلومة عن عصر فقدت المعلومات عنه هي ثمينة، ولو كان أهل ذلك العصر يعدونها تافهة لا تستحق الذكر.

وهذا ما حدا بي إلى كتابة هذا الكتيب عن (الملا ابن سيف) وكتيبات أخرى عن شخصيات أخرى مثله[1].

* * *

(١) غابت عني بعض أخبار الملا ابن سيف عند إلقاء النظرة الأخيرة على هذا الكتاب، وسوف ألحقها إذا وجدتها بهذا الكتاب إن لم يطبع قبل ذلك، أو بترجمته من (معجم أسر بريدة).

أخباره مع أمراء عصره:

يدور قسم من النكت والنوادر التي تروى عن (ابن سيف) حول علاقته بأمراء عصره سواء أمراء بلده بريدة أو أمراء حائل الذين كان يذهب إليهم كل عام، يحدثهم ويحدثونه ويؤانسهم بأحاديثه ويؤانسونه.

وظني أن الحامل له على ذلك هو وجود أبناء عمه آل جَزَّاي الذين منهم السيف في حائل ولا تزال منهم بقية هناك إضافة إلى ما قيل: إن السيف أهل بريدة جاء أوائلهم من حائل بعد أن كانوا ذهبوا إليها في وقت مبكر كما سبق.

ثم صارت هذه عادة له دعا إلى استمرارها ما يتمتع به ابن سيف من شخصية قوية محبة للنكت والطرائف الغريبة، حتى ما كان منها يحتشم الناس عادة من ذكره عند الأمراء، فالكلفة مرفوعة بين ابن سيف وبينهم.

* * *

مغاضبة الزوجة العزيزة:

من ذلك أن الملا ابن سيف بلغه أن أمير حائل قد غاضب زوجة له شابة وهو كهل فكلمته بكلام فيه غلظ مدلة بشبابها وجمالها فغضب من ذلك وهجرها ولكن شق عليه ذلك، غير أنه لم يستطع أن يعيد المياه إلى مجاريها معها إلاَّ بأن ينزل على حكمها، ولا تطيب نفسه بذلك.

فقال له الملا ابن سيف وكأنه لم يكن يعلم بما بين الأمير وبين زوجته هذه الصغيرة الغريرة: يا طويل العمل، تزاعلت مرة أنا وحرمتي (الدخيخله)- تصغير الدخلة، وهي أم عياله، فلما صرنا في الفراش كان كل واحد منا لا يكلم الآخر، ولا يقترب منه، فقلت لها: يا بنت الحلال: أنا وإياك متزاعلين لكن هذا وأشرت للذي معي، وهذه وأشرت للتي معها ماهمب متزاعلين، وش رأيك إننا ما ندخلهم بزعلنا، وحنا على زعلنا؟

قال: فقالت: اللي تشوفه يا أبوفلان، لكن أنا زعلة عليك، فقلت لها: وأنا أيضاً زعل عليك، لكن هذولا غيرنا.

فأعجبت الفكرة الأمير ابن رشيد، وصنع مثلها في تلك الليلة، وعندما أصبح كان في غاية الانشراح، وقال لابن سيف: عينت- يا الملا- سوينا مثل سواتك، ووافقت المسألة؟!

* * *

عسانا انسترنا:

جاء الملا ابن سيف مرة إلى زيارة الأمير في حائل وكان الوقت خريفاً والناس ينتظرون مطر الوسمي، ولكنه تأخر، فقال الأمير ابن رشيد له مداعباً:

يا ابن سيف من يوم جيتونا ياهالقصمان- جمع قصيمي- تأخر عنا المطر:

فأسرها ابن سيف في نفسه، وبعد أيام قليلة رَوَّح السحاب، أي نشأ بعد العصر.

وعندما انقضت صلاة العشاء بدأ يهطل مدراراً فأسرع ابن سيف يذهب إلى ابن رشيد في قصره قائلاً للبواب ومن معه من الحرس: أنا أبي الأمير، وكانوا يعرفونه ولكنهم استنكروا مجيئه إلى الأمير في هذه الساعة من الليل فقال: بلغوه، فلما بلغوه ظن أنه قد حدث أمر يستحق أن يتحدث معه فيه فأمر أن يفتح له الباب، واستقبله الأمير فبادر الملا قائلاً:

عسانا انسترنا- يا طويل العمر؟

فلم يفهم الأمير ذلك، وإنما قال له من جهة أي شيء؟

فقال الملا: من جهة هالخير اللي نزل، فذكر الأمير ما كان قاله له من أن تأخر المطر كان بسبب مجيئه ومن معه إليه، فقال للملا ابن سيف ضاحكاً: انسترتوا كيف؟ هو المطر منكم؟

فقال الملا ابن سيف: أجل هو منا قلة المطر؟ وكانت نكتة ظلت تروى هناك فترة من الدهر.

* * *

عطية من حصى:

كان الملا ابن سيف يدعو رافعاً يديه بعد الصلاة في المسجد في حائل وقد ضم إحدى كفيه إلى الأخرى فجاء أحد الشبان من آل رشيد وهم الأسرة الحاكمة في حائل وأخذ حصى صغاراً فوضعها في كفي ابن سيف الذي لم يعرف بذلك إلا عندما وضع الشاب الحصى، لأنه جاء إليه من الخلف يزعم ذلك الشاب أنه يمازح الملا ابن سيف بهذا.

فما كان من الملا ابن سيف إلا أن أخذ تلك الحصى وصرها في طرف شماغه بين ضحكات ذلك الشاب ومن معه.

وعندما جلس الملا مع ابن رشيد في مجلس حكمه الذي يحضره كبار القوم وأعيان الناس كانت الحصى لا تزال موجودة في طرف (شماغ) الملا فرآها الأمير وسأله: ما هذا الذي في شماغك- يا الملا؟

فأجاب الملا: هذه عطية من فلان، ماحبيت أني أفرِّط بها، فلما رآها ابن رشيد حصى سأل ابن سيف عن قصتها فأخبره فأحضر ذلك الرجل، وقال له: كيف تعطيه حصى؟ وماذا يقول الناس إذا علموا ذلك، عطه شيئاً يرضيه من الدراهم!

فلم يسعه إلا أن يعطيه دراهم قليلة، ولكنها أرضت ابن سيف لأنها (مكسب) من غير تعب.

* * *

يتفق مع اللصوص:

بينما كان الملا ابن سيف عائداً من حائل إلى بريدة، بعد انتهاء زيارته لأمير حائل، ومعه نقود وملابس اعترضه قطاع طريق من الأعراب، فأخذوا ما معه وأرادوا قتله ومرافقيه، إلا أنه قال لهم: أنا الملا ابن سيف رفيق الأمير ابن رشيد وأهل حائل يعرفونني، وأهل بريدة يعرفونني، وأنا ضيف الأمير وإذا قتلتموني فإن الأمير ابن رشيد سوف يبحث عنكم، ولو بأن يغزو قبيلتكم، فيحصل قتال بين جماعتكم وبينه، ويقتل فيه ناس، أي هذا وصيرتكم تاخذون الذي معي وتتركوني أنا والذين معي، والسنة التي تجي أجي مثل هذه الجية معي خير وملابس ودراهم تأخذونها، وتفتكون من القتل والقتال؟

قالوا: فاقتنع الأعراب ورضوا بأن يأخذوا ما معه من المال وألا يمسوه ولا من معه بسوء في أبدانهم!!!

* * *

يتخلص من حيلة الحاكم:

كان من عادة الملا ابن سيف أن يدعو أمير بريدة الذي هو حاكم القصيم على العشاء، ومرة قال للأمير: يا طويل العمر، (نبي نعشيكم عشاً مختصر) أي مقصوراً على عدد قليل من الناس، أنتم وأربعة أو خمسة من خوياكم الخاصين، فأجابه الأمير إلى ذلك، ولكنه أضمر له حيلة ينكسر فيها ابن سيف، أو على الأقل لينظر الأمير كيف يتخلص منها، فقد أحضر معه نحواً من أربعين شخصاً مع أن ابن سيف قال له: إنه يجهز عشاء لأربعة أو خمسة.

كان موعد العشاء بعد صلاة العصر كالمعتاد في ذلك الزمان لأنهم كانوا يتغدون تمراً ولبناً في الضحى.

وعندما حضر الأمير ومن معه الذين امتلأت بهم (قهوة) ابن سيف، كان الوضع محرجاً للملا، فليس عنده عشاء جاهز لهؤلاء كلهم، ولم يستعد لهم، فأسرع يهمس لولديه قائلاً لأحدهما: رح يا فلان بعيدٍ شوي، وأنت يا فلان صر قريباً من بيتنا وصح بأعلى صوتك قائلاً:

(سعيره، سعيره) وسعيره تعني عندهم الحريق، وكان من عادتهم أنه إذا حصل حريق في مكان ما فإن من يعلم به يصيح بالناس قائلاً: سعيرة، سعيرة، فيسرعون إليه من أجل إطفاء الحريق ويفعلون ذلك من دون أن يسألوا عن صحة الخبر حتى يصلوا إلى المكان الذي فيه السعيرة أو الحريق.

قالوا: فصاح ابنه: السعيرة، فسمعه من في بيته من رجال الأمير فأسرعوا بالخروج، وإذا بابنه الثاني يصيح في مكان بعيد فقصدوا مصدر صوته، ولم يكن بقي في بيته إلاّ الأمير وأربعة أو خمسة من ذوي الأقدار من الذين معه، فأغلق الملا باب بيته، وقدم لهم العشاء.

أما أولئك فلم يعودوا إلا بعد فترة، ووجدوا الباب مغلقاً، والأمير ومن معه يتعشون وهم يعجبون بحسن تخلص الملا ابن سيف، وكان الأمير قد أعد

للباقين عشاءً في قصره، لأنه يعرف أنه لا يوجد في بيت الملا عشاء يكفيهم، وإنما كان يريد أن يعرف كيفية تخلص ابن سيف من هذا المأزق.

لم يرسل يد امرأته:

دعا ابن سيف أمير بريدة وأعيانها على العشاء في بيته وكان العشاء جريشاً فاخراً، أعجب به الأمير والذين معه، فقال الأمير للملا: من أين لكم هاللقيمي اللي سويتوا منه الجريش؟

فقال: جاينا من محل كذا، فقال الأمير: هذا فاخر أرسلوا لنا منه، فأرسل الملا إلى الأمير منه كيساً، فأمر بأن يكون عشاؤه منه في ذلك اليوم، ولكنهم عندما أحضروه لم يذق فيه الطعم الذي ذاقه عند ابن سيف، وحتى الجريش نفسه لم يكن على الحالة التي كان عليها عندما أكل منه عند ابن سيف، وإنما هو جريش معتاد.

فأرسل إلى الملا وقال: يا ابن سيف، الجريش الذي أرسلته لنا جريش عادي! ما هو الجريش الذي أكلنا عندك.

فقال ابن سيف: الجريش هو الجريش الذي طلبت مني أرسله لك، لكن ما أرسلت لك معه يد أم فلان- يقصد زوجته- اللي شغلته!!!

* * *

خصاء العبد:

كان الملا ابن سيف في مجلس ابن رشيد أمير حائل فأمر بإحضار المُحَسِّن وهو المزين أو الحَلاَّق، فقال الملا ابن سيف: الله يجزاك خير يا طويل العمر وش يدريك أن رأسي مْشَوِّش أي طال شعره حتى صار شوشة، وودي أتَحَسّن، ظن ابن سيف أن الأمير استدعى بالمُحَسِّن أو الحلاق ليحلق رأسه، ولكن الأمير قال: يُحَسِّن رأسك، ما ناديناه نبيه يْحَسِّن رأس أحد: فقال الملا ابن سيف، أجل وشوله ناديته؟

فقال الأمير: عندنا عبد آذانا قوي، ويقفز على الجدران يؤذي العبدات- جمع عبدة- ونبي المُحَسِّن يْخَصاه، لأننا عجزنا نمنعه عن مضايقة العبدات: وهنا عرف ابن سيف الغرض من استدعاء المُحَسِّن فتغير مزاجه وقال: يا طويل العمر، والله إني هكالحين شفت ناس يخصون حمار، وإني قمت ثلاثة أيام ماذقت الطعام، ماركدت كبدي، وهو حمار، وش لون تبين أشوف رَجَّال يخصى، وتَجَدَّع خصيانه؟ والله ما آكل الطعام سنة!.

لو الله يا طويل العمر كل شيء ولا هذا.

قالوا: وكان العبد حاضراً قد قبض عليه رجال الأمير، فالتفت إليه الأمير، وقال له: ادع بسلامة ابن سيف، نبي نخليك على شانه ما نخصاك، لكن شف، والله إن عدت لشغلك الشين هذا ثانية، إني لأجَدَّعْ مقلك[1] ولا ينفعك ابن سيف ولا غيره.

يا رجال، اضربوه عصاوين وخلوه ينقلع على شان خاطر الملا ابن سيف!!!

* * *

(١) مقل الرجل: خصيتاه.

زوجته:

تزوج الملا ابن سيف امرأةٍ من أسرة (اليحيى) أمراءِ النبهانية اسمها: فاطمة بنت محمد اليحيى فكان بها معجباً يذكر في قصصه ونوادره حسنها، ولطف جسمها، بأن يسميها (الدخيخلة): تصغير دخّلة، والدُّخّلة: طائر مهاجر صغير لطيف الجسم ناعم الريش، جميل الشكل.

وهذه التسمية (الدخيخلة) تشعر بأنها لطيفة الجسم، غير ثقيلته، وقد بقيت معه حتى توفي قبلها وذكرته في وصيتها الآتي نصها وله معها حكايات ونوادر.

منها ما قصه عن نفسه، قال: كان ذلك اليوم يوم جمعة، وقد لبست ثوباً جديداً وشماغاً نظيفاً، وبخرتني الدخيخلة ببخور جيد شمه أهل الدور المجاورة، فلما خرجت من باب داري متوجهاً إلى المسجد نظرت إلى (القاتولة) وهي الطرمة التي تطل منها النساء بعيونهن على من يكونون في الزقاق من خلال ثقب فيها لا يتسع لأكثر من نظر العين، بحيث ترى المرأة من يكونون في السوق، ولا يرونها وإن كانوا يعرفون أن في (القاتولة) أحداً من إظلامها.

قال: فلاحظت أن زوجتي (الدخيخلة) تطل عليَّ من القاتولة، فعرفت أنها معجبة بي، وإلا فإنني كنت عندها في البيت فأردت أن أريها رجولتي، وكان لجارنا بلاعة في السوق- أي الزقاق- كان عبد أسود يخرج ترابها القذر الممزوج بالنجاسة ورائحته خبيثة، ولم يبد على ذلك العبد الأسود أنه يستعد للذهاب لصلاة الجمعة وإن كان الوقت فيه متسع.

فقلت له: صَلّ يا ولد.

قال: فرفع رأسه إليَّ، ولم يجبني بشيء، وكنت توقعت أن يقول: سم يا عم، فقلت له رافعاً صوتي لكي تسمعني الدخيخلة زوجتي لأنها كانت تنظر

إليَّ: صلّ يا حمار، وكان معي عصا أخذته من أجل أن أضعه في مكان صلاتي في الجامع إن احتجت للخروج، فأشرت به إليه كمن يريد أن يضربه، وقلت له: صل وإلا ضربتك بها العصا.

قال: وكل ذلك من أجل أن تسمعني امرأتي وتراني آمر وأنهى، وإلاَّ فإنه لا يهمني أصلى العبد أم لم يصل.

قال: فلما أشعر بذلك العبد الذي كان جسيماً ضخماً قوياً بالنسبة إلى جسمي الصغير الضعيف إلا أن خرج من البلاعة ويداه ممتلئتان بالطين الأسود المنتن النجس يهجم عليَّ ويقبض بيديه الملوثتين على ملابسي النظيفة ثم يرفعني ويرمي بي على كومة ما أخرجه من البلاعة من الطين الأسود القذر.

قال: وكل هذا وزوجتي تنظر إليَّ وقد حصل عليَّ عكس ما أردته من أن أريها قوتي وشدتي على الناس.

قال: والأشق من ذلك أنه كانت روّاية وهي المرأة التي تنقل الماء العذب إلى بيوت الناس وهي من أردأ الناس قدراً تصيح بأعلى صوتها وزوجتي تسمعها تقول: (من يفك الرجيل من الرَّجل) سمتني (رجيل) بالتصغير وهو الرجل بالتكبير.

قال: فعدت إلى زوجتي (الدخيخلة) لكي تغسل لي ما أصابه القذر كما تفعل بالطفل الصغير!!!

وروى لنا عبدالعزيز بن عبدالله الغصن هذه القصة على وجه آخر وهو أنه كان للملا نقود عند رجل من أهل الوادي الذي يقع بين بريدة وعنيزة والرجل من ذوي البشرة السوداء، فأراد الملا ابن سيف أن يفتخر عند زوجته فقال لها: حطي بالك وشوفي وش أشوي بها العبد اللي وين هو عند روحه.

قالوا: فقال له الملا: أنت يا فلان وراك ما تعطيني دراهمي، أنت تبيني أوريك وش أسوي بك؟

قال ذلك معتمداً على أن الرجل سوف يجامله من أجل المال الذي عنده له.

فقال الرجل للملا: ما عندي شي.

فقال الملا: إلا، الناس يقولون لي إن عندك دراهم لكنك عوج، أنا أوريك ثم رفع عصاه عليه، وإن لم يقصد أن يضربه ولكن ليري زوجته التي كانت تنظر إليه من خلف الباب، ولكن الرجل صاحب الوادي ظن أن الملا سيضربه فالتقط عصاه، ورمى به الأرض ثم أخذ الملا بين يديه وكان الرجل جسيماً فحمل الملا ابن سيف وضرب به الأرض واشتبك معه، فمر في هذه الأثناء رجل فصفقت زوجة الملا إليه وقالت له: يا ابن الحلال فكوا هالرَجَّال من الرجل، أي من الأسود!!

* * *

العجيلة ماهيب مثل الثور:

كان (الملا ابن سيف) يمدح زوجته، ويطري جمالها عند من لهم به علاقة أنس وعدم كلفة، ويلقبها كما يفعل دائماً بالدخيخلة.

ومرة قدم رجل من النبهانية بلدها تربطه قرابة بزوجته، فرآه أصحاب (الملا) معه فسألوه عنه فأخبرهم بأنه من أقرباء زوجته، ولم يكن الرجل جميل المظهر كما كان (الملا) يذكر جمال امرأته، ولم يكونوا- بطبيعة الحال- يستطيعون أن يروا امرأته حتى يحكموا على كلامه بأنه حقيقي، أو فيه مبالغة فقالوا له: يا الملا: كيف تقول: إن زوجتك جميلة لطيفة وهذا الرجل الذي هو قريب لها أو قالوا هو أخوها ليس كذلك؟

فقال لهم: الثور ماهوب مثل العجيلة!

والعجيلة: تصغير العجلة وهي الأنثى من أولاد البقر، يريد أن الرجل خشن- في العادة بالنسبة إلى المرأة وأن الفرق بينهما في المنظر كالفرق بين الثور والبقرة الصغيرة.

وكانت زوجته الدخيخلة مشهورة بالنظافة واستعمال الطيب مما يجعلها فريدة في هذا الأمر، لذلك تزوجها بعده الوجيه الثري ناصر بن سليمان السيف وهو ابن أخي الملا عبدالمحسن.

والظاهر أنها ماتت وهي في عصمته.

ومعروف عن الدخيخلة أنها لا تخرج من بيتها قط، فلا تذهب إلى أحد من الناس قالوا: مرة ألحت عليها بعض النسوة بأن تذهب إلى الختمة في مسجد ناصر السيف القريب من بيتها وذلك ليلة السابع والعشرين من رمضان يسمونها (ليلة الختمة) لأن أئمة المساجد يختمون فيها القرآن، ويدعون دعاء الختمة.

قالوا: فعزمت على ذلك ولما نزلت مع درجة بيتها، وكانت مظلمة

قابلها أحد أولادها أو أولاد زوجها الجديد ناصر السليمان فظنها امرأته في الظلام فاحتك بها وفزعت لأنها كانت في حالة نفسية ناشئة عن كونها تتهيأ للخروج من بيتها وهو ما لم تعد عليه.

فرجعت إلى غرفتها ولم تخرج من بيتها بعد ذلك إلا إلى القبر.

وصية زوجة الملا ابن سيف:

أوصت فاطمة بن محمد اليحي زوجة الملا ابن سيف التي لقبها هو بالدخيخلة: تصغير دُخَّلة بوصية حافلة كان من أهم ما فيها أن الذي كتبها هو قاضي القصيم في وقته الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وليس ذلك عن طريق اعتمادها أو حتى إملائها بعد أن يفهم معناها وإنما كتبها بخطه بناء على إملاء الزوجة فاطمة المذكورة بنفسها.

وقد عهدنا سائر الذين يوصون يكتب وصاياهم كاتب من سائر الناس أما الوجهاء والأثرياء وأشباههم فإنما يكتب وصاياهم المشايخ والعلماء مثلما كتب الشيخ سليمان بن علي المقبل وصية الثري الوجيه (محمد بن عبدالرحمن الربدي) رأس أسرة الربدي أهل بريدة وذكرتها في (معجم أسر بريدة).

وفي حالة زوجة عبدالمحسن بن سيف هذه فقد كتبها أكبر المشايخ قاضي البلد الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم.

ونشك في كونها كلها من إملائها، لأن فيها عبارات لا يوردها في العادة إلاَّ طلبة العلم، فمن الجائز أنها من إيراد كاتب الوصية الشيخ محمد بن سليم إلا إذا قلنا إنها أخذت مثل تلك العبارات من زوجها المثقف الكاتب الثبت، وقد تزوجها بعده ابن أخيه (ناصر بن سليمان بن سيف) وهو طالب علم كان يلي القضاء بالنيابة في بعض الأحيان كما أخبرني بذلك ابن بنته أستاذنا عبدالله بن إبراهيم بن سليم، وكانت عندما كتبت وصيتها هذه في عام ١٣٠١ في عصمة ناصر بن سليمان السيف بعد أن كان زوجها عبدالمحسن بن سيف قد مات في عام ١٢٩٥ حسبما نقدره كما سيأتي ذلك عند ذكر وفاته.

والشاهدان على الوصية اثنان من أسرة المشيقح ربما كان ذلك لوجود صهر، أو رحم معها لأن المرأة لا ينبغي أن يشهد عليها إلاَّ من عرفها بنفسه أو بوساطة مُعَرِّف لها عنده، وأحد الشاهدين هو عبدالعزيز بن حمود المشيقح

الذي أصبح بعد ذلك أغنى أغنياء بريدة، بل ربما أغنى أغنياء أهل نجد كلها في زمنه ونال من الجاه والمنزلة عند الحكام وسائر الناس مبلغاً عظيماً.

إلا أنه كان صغير السن عند شهادته على هذه الوصية لأن مولده كان عام ١٢٨٠ فهو عند ما شهد على الوصية كان عمره ٢١ سنة، ولكن امتد به العمر حتى بلغ ٩٢ سنة وتوفي في عام ١٣٧٢هـ.

لقد أثبتت في الوصية ما هو معروف لنا وذكرناه في معرض التعريف بها وهي أنها من (اليحيى) أهل النبهانية، بل إن أهلها هم أمراء النبهانية من قديم الزمان إلى الآن، إذْ لا تزال الإمارة فيهم حتى كتابة هذا الكتيب، وذلك أنها أوصت بسراج لمسجد النبهانية.

وتدل هذه الوصية على مبلغ ثرائها لأن كل ما فيها على كثرته وقلة النقود عند الناس هو من صوغها وحليها وهو الذهب الذي كانت تتحلى به، فكم تملك من غير الحلي والمصاغ؟ لا شك أنه كثير لأن كل المذكور في الوصية هو ثلث مالها، وربما أقل من ذلك، أما الباقي فقد تركته للورثة ولكنها أوصت من ذلك الثلث لعدد من الأشخاص بمبالغ نقدية مالية مذكورة في الوصية.

* * *

قربة القيظ وسراج الشتاء:

وردت في الوصية أشياء لا يعرفها الجيل الجديد من أبنائنا ولو ذكرناها له لما تصورها إلاَّ بشرح وإيضاح، فقد ورد فيها أنها أوصت بقربة تروَّى أربعة أشهر القيظ.

والقربة هي وعاء الماء وهي جلد خروف أو عنز يدبغ ويخرز على هيئة وعاء كبير يملا بالماء من أجل حفظ الماء ومن أجل تبريده لأن في الجلد مسام دقيقة جداً بحيث تمسك بالماء ولكنها لا تمنع من وصول الهواء إليه.

وهي تُرَوَّى بتشديد الواو، أي تملأ من مكان استعذاب الماء كل يوم في آخر النهار ثم تترك طول الليل فيبرد الماء فيها، ويبقى بارداً طيلة اليوم.

وقد خصصتها للقيظ الذي هو زمن الحر الشديد لأن الناس يحتاجون فيه إلى الماء البارد خلاف الشتاء الذي يقل فيه العطش وإذا احتاج المرء إلى شرب الماء فإنه يشربه ولو لم يكن بارداً، بل إن الماء البارد غير مرغوب به في الشتاء، كما هو معروف.

وقد عهدنا أهل الخير يجعلون قرب الماء في المساجد أو الطرق والأسواق ليشرب منها الناس احتساباً للأجر وطلباً للثواب.

أما سراج الشتاء فإن البلاد باردة في الشتاء كما هو معروف، ولكن الذي ليس معروفاً للجيل الجديد الآن أن ملابس الناس كانت شحيحة في تلك العصور، لذلك لا يجدون ما يكافحون به البرد من ملابس إلا بأن يدخلوا إلى غرف.

ولهذا السبب يكون للمسجد من مساجدهم خلوة وهي بمثابة الطابق تحت الأرض أو بحجز جزء من المسجد يحيط به جدار محكم يمنع دخول الهواء البارد إليه.

والخلوة مثل هذا المبنى تكون مظلمة حتى في النهار فكيف بالليل لذلك

تحتاج إلى سراج.

أما في الصيف وأطراف الربيع قبل أن ينقضي البرد، أو قبل أن يستحكم فإنهم كانوا يصلون المغرب والعشاء والفجر في فناء المسجد المكشوف ولا يحتاجون إلى سراج، فكانوا فيما عهدناهم عليه يصلون بدون سراج يكتفون بنور القمراء وهي نور القمر إن وجد، وإلا بنور النجوم إذا كانت السماء صافية، وفيما عدا ذلك يتلمسون الحيطان ولكنهم يكونون مضطرين للسراج عندما يكونون داخل المنازل في الشتاء.

وقد عهدت الناس قبل التطور الأخير يقرأ القارئ على جماعة المسجد قبل صلاة العشاء من كتاب يتضمن الوعظ والإرشاد أو الأحاديث النبوية أو تفسير ابن كثير على ضوء السراج حتى إذا ما فرغ من القراءة أطفأ السراج وصلى الناس بدونه.

* * *

أبناء الملا ابن سيف

خلف الملا عبدالمحسن بن سيف عدداً كبيراً من الأبناء، وليس لدينا بيان عددهم ولكن رأينا في الوثائق وعرفنا من أحفاده وأحفاد أحفاده عدداً كبيراً.

فمن مشاهير أحفاده ابن حفيده واسمه عبدالله بن ناصر بن سيف والده ناصر ابن الشهير بالكرم والوجاهة عبدالله بن الملا عبدالمحسن السيف، وهو الذي اشتهر بلقب الملا في الوقت الذي أدركناه حتى كان الناس إذا قالوا: الملا ابن سيف إنصرف ذلك إليه أي إلى ابن حفيد الملا عبدالمحسن.

مع أنه ليس جميل الخط كما كان عليه جد والده، وإنما سمي بذلك مجرد تسمية لكون جد والده هو (الملا عبدالمحسن بن سيف) وسوف يأتي الكلام عليه وذكر بعض أخباره بعد أخبار جد والده (الملا عبدالمحسن).

ومن مشاهير أبناء أحفاده في عصرنا سميه (عبدالمحسن بن محمد بن سيف) وهو عبدالمحسن بن محمد بن موسى بن (الملا عبدالمحسن بن محمد بن سيف) وهو وجيه ثري تقلب في عدة مناصب منها (مدير مالية بريدة) ومنها (المدير العام للزراعة في القصيم) و(المدير العام للزراعة في سدير).

وكان عقارياً مولعاً بشراء الأراضي والعقارات، واستقطاعها، وقد حصل من ذلك على ثروة طائلة.

أذكر أنني ذهبت إليه أنا والشيخ إبراهيم بن عبدالله الدباسي في بيته عندما كان في بريدة لنشتري منه أرضاً فأظهر لنا إضبارتين في كل واحدة أكثر من ألف سند مبايعة تخص أرضاً من الأراضي فاشترينا منه قطعتين وبعناهما بعد نحو سنتين بمكسب كبير.

ومن أبناء الملا عبدالمحسن بن سيف: عبدالله، وهو زعيم من الزعماء، وكريم من الكرماء سار ذكره في أنحاء البلاد، وقصده الكثير من الناس بحوائجهم، وولاه محمد بن رشيد كل ما يتعلق بأموال الحكومة في القصيم ابتداء من بيت المال، ولذلك مدحه شعراء العامية، ومنهم عبدالكريم الأصقه من أهل الأسياح وسكن في بريدة، فقد مدحه بقصيدة طنانة هي عروس من عرائس الشعر، عرض عليها جميع حكام أهل نحد، وأهل البلدان الأخرى وجعلها تعافهم، إلى أن وصل بها الشعر إلى عبدالله بن سيف فقبلت به دون سواه.

والشاعر عبدالكريم الأصقه، مات حوالي ١٣٣٠هـ، وهو من أهل العين عين ابن فهيد ومنها: وبعث بها من البصرة:

شـــاه العجم طرَّشْ مراســـيل وكـــتاب وبابـــور شـــغل الفرنج أركـــبي به

قالت:

والله لـــو يمـــلا ثمانـــين ســـــرداب زمـــرد وياقـــوت يقـــول أوقفـــي به

قلت:

يا بنـــت بـــارت بك زينـــات الأطـــباب عذربـــتُ الحكـــام وانـــتى غضِـــبه
تخـــيري باللـــــي يطقـــون الأطـــناب حمايـــة القريـــه وأهلهـــا مغيبـــه
إلى أشرف الراعـــي على رأس مرقاب رز اللـــوا وأوما وصـــاح الرقيبه
بجـــونك زينـــين المحـــــازم والآداب لى من كـــل عفنٍ خلـــى شـــريبه[1]

قالت:

من تخت أهل الروم[2] جينـــا للاعراب علـــى هـــــرش ردى دبيبـــــه
شفى مع القصمان ان كان البخت جاب أولاد علـــــي معطـــبين الضـــريبه

---

(١) الشريب: الذي يورد دوابه مع دوابك على مورد الماء في الصحراء.

(٢) الروم: أي بغداد.

شـــفي بعبدالله هـــو زين الاشـــباب[1] وإلا فكـــلِ بطلـــــع الله نصيبـــه

وقد غضب محمد بن عبدالله بن رشيد حاكم نجد آنذاك من عبدالكريم الأصقه، وتوعد بأن يقتله إذا ظفر به، لكونه تجاوزه بهذه العروس من عرائس الشعر، وجعلها تعافه، على حين أنه جعلها تقبل موظفاً من موظفيه، أو لنقل: إنه عامل من عماله هو عبدالله بن سيف.

وقد خاف الشاعر الأصقه من وعيد محمد بن رشيد لأنه يعرف سطوته، ولاسيما أن الناس صاروا يتناقلون عروس الأصقه في ابن سيف، ويتسألون عن كونها لم تقبل بمحمد بن رشيد، وللشعر آنذاك مكانة في النفوس لكونه الكلام الفني الوحيد الذي تتذوقه العامة، وتحفظه وترده في مجالسها.

قالوا: وقد تجنب الشاعر الأصقه الذهاب إلى حائل حيث مقر حكم ابن رشيد ولكنه صادفه مرة خارج حائل فعرف بوجوده، وناداه ليفتك به قائلاً: يا الأصقه: كيف تخلي عروس الشعر تعافني وتجنبني؟ فقال الأصقه بصوت ثابت وقلب مطمئن: لأنها ماهيب كفو لك يا طويل العمر، فهي صانعة!

ويقال: إنه قال: إنها معيدية من المعدان وهم جماعات من البدو يعيشون في حدود العراق الجنوبية، ولا ترضى القبائل العربية الكبيرة بمصاهرتهم.

قالوا: وقد فكر ابن رشيد بهذا، وقال: سلمت- يا الأصقه- أي والله أنا ما أتجوز الصانعة ولا المعبدية.

* * *

(١) الأشباب: الشبان.

و في هذه الأوراق ذكر لبعض أبناء الملا ابن سيف وأحفاده:

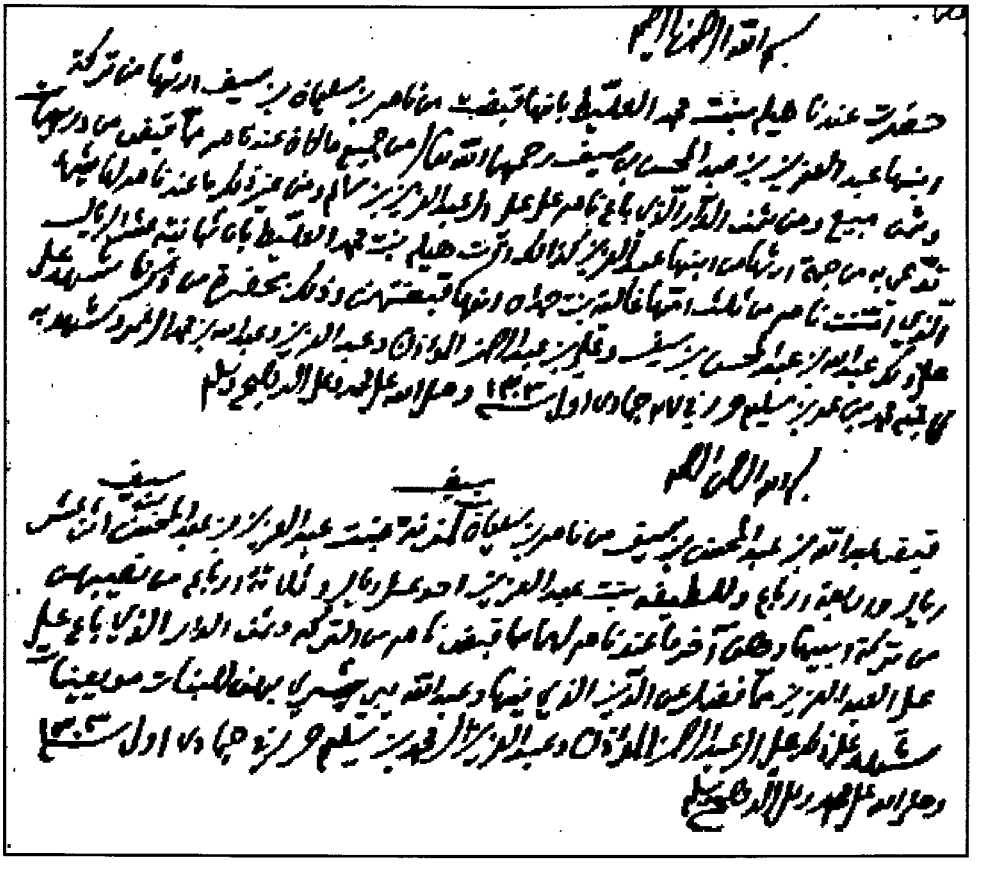

بسم الله الرحمن الرحيم

حضر عندنا صالح بن عبد المحسن بن سيف وحضر معه سليمان بن عبد العزيز آل عبد المحسن بن سيف
فباع صالح المذكور على سليمان بيته المعلوم الكائن جملة بيت الشرق حدوده معلومة لديه من
جنوب بالمدرسة ومن شرق بيت صالح ومن شمال بيت حسن السليمان المعلم بيت عبد الله
ومن قبلي بيت ناصر السليمان باع صالح هذا البيت بجميع ما احتوى عليه من خشب وأبواب
وأسفل وأعلا وأشترى سليمان المذكور معلوم قدره ستمائة وخمس وسبعين
ريال فرانسي منذ ذلك خمس وسبعين ريال وطلب لسليمان على صالح ومائة ريال حالة
تصالح وجعل سليمان لصالح خيار الوطلع شهرا لزاد ما صار لسليمان منع لم يحصل ما باعه له
فسليمان يقبل البيع والآ سيعيد الباعة المذكور وشهد على ذلك عبد العزيز الناصر
وصالح الناصر السيف وشهد بكتابة ناصر السليمان السيف عصر ١٣٢٩
١٣ ال

وصل صالح العبد المحسن خمسة ريال بيده وهن من ثمن هذا البيت كتبه عبد الكريم العبد المحسن

الحمد لله وحده
حضر عندنا صالح بن عبد المحسن السيف وأقر بأنه قبض من يدنا صار لسليمان السيف
أربعة عشر ريال فرانسي وهن آخر ثمن البيت الذي اشترى منه سليمان العبد العزيز
السيف جزاه ذلك وخول صار ١٣٢٩ شهد على ذلك ابراهيم المضيان وكتبه
كاتبه عبيد بن عبد المحسن بن عبيد وصلى الله على محمد
وآله وصحبه السادة المذكورة آخر ثمن البيت تمام ستة ريد فريد ناصر لسليمان
شهد على ذلك فذكنا ابراهيم المضيان وكاتبه عبيد بن عبد المحسن وصلى الله على محمد

أخباره مع أبنائه:

من كان ذا ظرف مطبوع مثل الملا ابن سيف لم يتخل عن ظرفه ونكته حتى مع أهله وأولاده.

قال لأولاده يوماً وقد أخذهم إلى قهوته المزينة بالجص من الداخل كما كان الوجهاء الأثرياء يفعلون بأن يطلوا غرفة الاستقبال للرجال التي هي القهوة بالجص الأبيض تجميلاً وتزييناً لها، وقال لهم:

أنتم يا عيالي مثل هالجص اللي في جدار ها القهوة ما فيه قوة لها ولكنه يجملها لأن الله تعالى يقول: ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾ والجص زينة للجدار، ولكنه ما فيه قوة له.

* * *

درس عملي في الاقتصاد:

حدث أن كان الملا ابن سيف يشتري لبيته شيئاً من السوق كاللحم أو البطيخ أو نحو ذلك من الأطعمة التي لا تخزن: فيجد أن ابنه اشترى مثله أو أفضل منه فناداه ووقف به على (القرو) وهو حوض صغير يملاه الناس عند البئر ليتوضوا منه، ويكون فيه عادة أنبوبان يسميان عندهم البلبولان- وأحدهما بلبول.

وملأ الملا ابن سيف (القرو) ماءً وفتح بلبولاً واحداً أي صنبوراً واحداً وقال لابنه: إحسب واحد اثنين ثلاثة ما دام أنه يصب حتى ينتهي الماء منه ففعل الابن.

ثم عندما فرغ الحوض من الماء، أعاد (الملا) ملئه بالماء، وفتح البلبولين كليهما والبلبول كالبزبوز، وقال: إحسب حتى ينفد: واحد اثنين، ثلاثة أربعة!

وإذا بالماء ينفد من الحوض في نصف ما كان يستغرقه نفاده عندما كان أحد البلبولين مفتوحاً، والآخر مغلقاً.

وهنا قال الملا لابنه: يا ولدي إذا صرت أنا أنفق من مالي، وأنت تنفق منه على شيء واحد أو على أشياء يمكن توفير بعضها نفد مالي بسرعة مثل هذين البلبولين!.

لازم ما ينفق من المال إلاَّ واحد!!!

* * *

عندما غضب من أبنائه:

غضب مرة من أبنائه فقال لهم: (أنتم شياطين بياطين معاطين) فسألوه قائلين: يبه (شياطين بياطين) يقوله الناس، وسمعناهم يقولونها.

وكان هذا صحيحاً لأن العامة تقوله، وتريد بكلمة (بياطين) إتباع لكلمة شياطين، قال أبناؤه، فما معنى (معاطين) هذه ما سمعناها إلا منك؟ فقال: معناه: أنكم تمعطون من مالي!!!

وهذه من معط الشيء يمعطه معطاً: إذا أخذه بسرعة.

ولمناسبة ما ذكرناه عن الملا بن سيف من الثروة نورد هنا نص وثيقة تمثل ثروة أحد أبنائه وهو محمد، وأكبر دليل على ذلك أن الثري الوجيه إبراهيم بن محمد الربدي قد قبل أن يكون وكيلاً لزوجة لمحمد بن عبدالمحسن السيف ليقبض نصيبها من تركته وهي مبلغ كبير في ذلك الوقت يمثل ثمن دار كاملة ومع ذلك هو نصف ثُمن ما لزوجاته لأنه متزوج بأخرى غيرها، وهذه عراقية والأخرى من أهل القصيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

حضر عندي ورثة محمد بن عبد المحسن بن سيف رحمه الله والذي حضر والدته منيرة بنت محمد بن سيف وسيدة بنت محمد بن ناصر بن عبد الله بن سيف وعبد العزيز بن سليمان ابن ناصر وموضي بنت محمد القعقاني وعائشة بنت سليمان بن ناصر اخوة محمد لامه وزوجة محمد نورة بنت عبد الله وعصبة محمد اخوانه لابيه عبد الله وصالح وموسى ناقروا جميعا انهم حاسبوا ناصر السليمان بن سيف وكيل مورثهم محمد بن عبد المحسن عن جميع تركة محمد وصحح الترکة وبعد ما صحت ونزع الثلث قبض للامناء نصيبه منها رقمه واولادها ناصر وعبد العزيز وموضي وعائشة نصف المال والنصف الثاني للزوجتين نورة الذكور والاخ والاخوات العينية بغداد مريم بنت غالب وبين العصبة عبد الله وصالح وموسى وسليمان فنورة قبضت ما يخصها وعبد الله قبض ما يخصه ويخص اخيه سليمان وصالح وموسى قبضا ما يخصهما ولم يبق عند ناصر المذكور وموسى والاتبعه هكذا حضروا واقروا جميعا شاهد على ذلك محمد بن عبد العزيز القعقاني وعبد الله بن سليمان بن سيف وكتبه حرره ناصر ١٢٩٩

شاهد على الآخر كتبه وشهد بما فيه محمد بن عمر بن سليم حرره ناصر ١٢٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

اقر ابراهيم بن عبد العزيز بن قبض من ناصر السليمان بن سيف ثلاثة صاع بنت عبد الغالب زوجة محمد بن عبد المحسن بن سيف ورثها من تركة محمد بن عبد المحسن تسع وستين ريال الاخة اربع عشر مجيدي والباقي لابراهيم فالمقبض بعد ما عرض علينا استنه واقر لابراهيم بالقبض وانا بالبراهيم فاقر فيها عليها بخط محمد بن سليمان الله الكريم الجبور شاهد على ذلك عبد الله بن حمد الحديثي بقبض وعبد العزيز بن محمد بن سيف كتبه وشهد محمد بن عمر بن سليم حرره في ربيع الاول ١٢٩٩ وهو الذي وقع الدفتر

وكان من أبناء الملا عبدالمحسن بن سيف من عرف بالملا أيضاً لا لكونه حسن الخط، وإنما لكونه ابناً للملا ولكونه يحب النوادر والطُّرف، ولكن أقواله نسبت إلى أبيه، من ذلك ما حدثني أكثر من واحد من طلبة العلم في بريدة وعنيزة أن محمد بن عبدالله بن رشيد عندما تغلب على أهل القصيم في وقعة المليدا التي حدثت في عام ١٣٠٨هـ ودخل بريدة جاء إليه فيمن جاء الشيخ علي بن سالم الجليدان، وهو من طلبة العلم في عنيزة المنحرفين عن آل رشيد لأن هؤلاء مع المشايخ آل سليم والمشايخ آل عبداللطيف الذين هم آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

سَلَّمَ علي بن سالم الجليدان من علماء عنيزة على محمد بن رشيد بعد وقعة المليدا، قائلاً: السلام عليكم يا الإمام.

فقال ابن رشيد: الإمام: المقرن، حنا يقال لنا الشيوخ.

يريد أن الذي يخاطب بالإمام هو الحاكم من آل سعود الذين هم من آل مقرن أما نحن- يريد آل رشيد- فإن اسمنا عند الناس أو لنقل إن لقبهم عند الناس هو (الشيوخ) ولا يقال لهم الإمام.

غير أن ابن جليدان لم يفهم هذا، إما لسبب في سمعه أو لأمر آخر فانبرى الملا ابن سيف وهو في صدر مجلس ابن رشيد وقد عرف حال الرجل ومن معه من طلبة العلم الذين لا يؤيدون ابن رشيد، ويختلفون مع طائفة من طلبة العلم تؤيد ابن رشيد قائلاً:

يقول لك الشيوخ: دينكم لكم، بس ملكنا لا تجونه.

وكانت هذه نكتة عبرت عن رأي ابن رشيد فهو لا يريد أن يتدخل في

الخلاف بين طلبة العلم في القصيم، ولكنه لا يريد أن يتدخل أحد منهم في شئون حكمه.

إن هذه الواقعة لا يمكن أن تكون حدثت في عهد (الملا عبدالمحسن بن سيف) لأنه كان قد مات قبل ذلك بنحو ١٥ أو ١٤ سنة، ولكنها نسبت إليه لأنها من الملا ابن سيف الذي هو ابنه بلا شك.

غير أنه لم يكن كل أبنائه أو أحفاده يلقب بالملا، وإنما كان هذا اللقب يلقب به بعضهم ممن يشتهر بحب النكتة أو بغير ذلك.

وآخر من علمته لُقّب بذلك ابن حفيده وهو (عبدالله بن ناصر بن عبدالله بن الملا عبدالمحسن بن سيف) وقد عاصرناه ومات في عام ١٣٩٢هـ وهو لا يعرف إلا بالملا ابن سيف، وكانت ولادته في عام ١٣٠٨هـ.

وله طرائف ونكت كثيرة، يتناقلها الناس، منها ما حدث له وحكاها بنفسه، ومنها ما رواها عن غيره.

مما حدث له بنفسه ما حدثني به قال: ذهبت وأنا صغير مع جدي عبدالله بن سيف إلى العراق، وكان الوقت شتاء فنزل جدي ومن معه على شيخ من قبيلة الظفير، وكان يعرفه ويقدره، فأكرمنا الشيخ البدوي، وأنزلنا في بيت من الشعر خاص به وكنا في البادية على حدود العراق، وكنا بعد سفر وتعب، وقبل النوم جاءوا لنا بالغبوق وهو حليب البكار[1]، وكنا تعشينا عنده على ذبيحة، فشربت من اللبن حتى رويت، ثم أعدت الشرب، ونمت بين فرش وثيرة نظيفة، فرأيت فيما يرى النائم أنني في بريدة أريد الخروج إلى نخلنا في

---

(١) البكار: جمع بكرة وهي الصغيرة من النوق.

الصباخ ومررت على مطينة وهي الحفرة التي يأخذ الناس الطين منها لبناء البيوت ولا يدفنونها، وبل تظل مدة تلقى فيها النفايات ويبول فيها الناس من المارة لكونها منخفضة تستر من يبول فيها عن العيون.

فأحسست أنني محتاج إلى البول كالعادة، فنزلت في الحفرة وأفرغت جميع ما فيَّ من البول، ولما انتهيت نبهتني سخونة البول فعرفت أنني في بيت شيخ الظفير، وأنني قد بلت على فراشه، وهذا إضافة إلى الحرج الذي يسببه لي، فإنه يعتبر بمثابة الإهانة للشيخ البدوي.

وفكرت فيما أصنع حتى هداني تفكيري إلى خِطةٍ نفذتها، إذْ جاء العبد الموكل بخدمتنا نحن الضيوف فتصنعت التعب وجعلت ارتجف، وقلت له: إنني محموم وأريد ماء فاملأ لي القدح فقال العبد: هذي (سعيدى) وسعيدى: تصغير سعدى: اسم لحمى البصرة وما حولها في ذلك ا لوقت، وجاء بإناء كبير مليء بالماء فأخذته بيدين مرتجفتين وهو ينظر إليَّ ثم أظهرت أنني لا أستطيع الإمساك به لضعفي وتركت الإناء ينتثر كل ما فيه من الماء عليَّ وعلى الفراش.

وأظهرت استفظاع هذا الأمر، فطمأنني العبد وقال: هذا ماء إذا طلعت الشمس إن شاء الله نشرنا الفراش ونشرنا ثوبك ثم أحضر إليَّ رداء يابساً وأخذ القديم.

وهكذا ضاعت (زغولتي) وسط الماء الكثير الذي أحضره العبد!!!

* * *

مع حمد الصقعبي:

وكان للملا عبدالله بن سيف حكايات في رفقته لحمد الصقعبي الملقب (حمده) ذكرتها في كتاب: (أخبار حمد الصقعبي) وأكثرها طرافة ما كان في مرحلة الشباب والمراهقة من ذلك أن الصقعبي والملا عبدالله بن سيف هذا تنكرا في ثياب فتاتين أخذ كل و احد منهما ما يحتاج إليه من ثياب أهله دون أن يعرفوا، ولم يكن نبت في وجهيهما شعر، ودخلا مجتمع نساءٍ في عرس حافل، فكانا يتنقلان من دون أن يعرف أحد من النساء بوجودهما، إلا أنهما نسيا مرة وتكلم حمد الصقعبي وكان صوته خشناً قليلاً فاسترعى ذلك انتباه إحدى النساء فقالت بصوت مسموع لبقيتهن: أقول: يا حريم، معكن رجل، وعندما أحس بذلك هرب.

أما الملا ابن سيف فقد أمسكت به النساء وأخذن يقبصنه، بمعنى يقرصنه بأطراف أضافرهن مضمومة ويضربنه ضرب النساء غير الموجع.

* * *

يأخذ فراخ العصافير:

دخل الملا ابن سيف مرة مع حمد الصقعبي وهو أكبر منه قليلاً وأقوى جسماً وأطول قامة إلى المسجد فصارا يأخذان فراخ العصافير من سقف المسجد وهي التي تفرخ فيها العصافير وتكون عادة في مكان متسع من السقف فصار حمد الصقعبي يقف والملا ابن سيف واقف فوق كتفيه بحيث يستطيعان الوصول إلى السقف، وإلا فإنهما بدون ذلك لا يستطيعان الوصول إلى العصافير الصغيرة فيأخذانها.

وذلك أمر لا يقره الكبار، لأنه لا يجوز أن تفجع العصافير بأخذ فراخها، ثم أن أخذ الفراخ معناه إسقاط العش وهو من النفايات في المسجد.

وكانا يفعلان ذلك في غير وقت الصلاة، ومرة دخل مؤذن المسجد في غير وقت دخوله في العادة فرآهما وأسرع إليهما لكي يضربهما تأديباً لهما على هذا الفعل، ولئلا يعودا إليه، وكان المؤذن شيخاً ضعيفاً فهرب حمد الصقعبي فأمسك المؤذن بالملا (والملا) يحاول التخلص منه حتى وصل به إلى حسو المسجد وهو البئر الذي يستخرج منه المصلون الماء للوضوء، وجعل يدليه في الحسو وهو يقول له: (أبيك تتوب أنت ورفيقك ما تدخلون المسجد إلا للصلاة أوذيتوا هالطيور المسكينات تأخذون فراختهن).

وقد ثقل عليه جسم الصبي الملا فانطلق من يده ووقع الملا في البئر وهنا صاح الصياح، وأخرجوا الملا ابن سيف سليماً إلا من خدش في جبهته بقي أثره خفيفاً فيها حتى توفي!

* * *

التيس الذي أكل الهيل:

اشترى الملا عبدالله بن سيف تيساً بخمسة ريالات قال عبدالله: السيف وكان في مخزن القهوة عنده هيل فدخل عليه التيس وأكله وكان يساوي ٣٠ ريالاً فأسرع الملا يعرضه على الناس قائلاً: إنه سوف يبيعه بخمسة وثلاثين لأن في بطنه هيلاً بـــ٣٠ ريالاً.

يخرج ذلك مخرج المزح، ثم ذبحه وأكله.

* * *

يداوي الجربى بدواء غير معروف:

كان الملا عبدالله بن سيف قد اشتهر بشيء انفرد به عن غيره وهو أنه كان يداوي الإبل الجربى، أي التي أصابها الجرب بدواء غير معروف لأحد، ولم يكن الناس قبل ذلك يعرفون دواء للجرب إلا القطران والنورة والزرنيخ.

وعندما شاع ذكره وعرف بذلك وحده استدعاه الملك عبدالعزيز آل سعود إلى الرياض ليداوي إبل الشيوخ- أي الحكومة- في وقت كانت الإبل فيه من أنفس الأموال التي تقتنى، ولابد للحاكم من أن يحصل على أعداد كبيرة منها للحاجة، بل والاحتياط.

قال الملا ابن سيف: فداويتها وشفيت أو شفي أكثرها، وكانت خارج الرياض فعدت إلى الرياض لأخذ أجرتي فاستدعاني الملك عبدالعزيز في مجلس له كان حافلاً بالناس، وقال لي:

هذا الدواء الذي تداوي به الإبل الجرب وش هو يا ابن سيف؟ ما خبرنا الجرب يداوى إلا بالنورة والزرنيخ؟

قال: وكان هذا سؤالاً محرجاً لي فأنا لا يمكن أن أبوح بالسر الذي كسبت منه مالاً جيداً، ومازلت أكسب منه، وبخاصة في مجلس الملك الحافل.

قال: فقلت: يا طويل العمر، الدوا الذي أنا أداوي به الجُرْب، على ما قيل: سبب ضعيف لكن معه نية صالحة.

فتبسم الملك عبدالعزيز وقال بصوته الأجش يستهزئ بي- ما لقت النية الصالحة إلاّ أنت يا ابن سيف؟

وذلك لكون (الملا ابن سيف) لم يكن ممن اشتهروا بالتدين الذي يبعث

على النية الصالحة.

وقلت أنا للملا عبدالله بن سيف: ماهو هذا الدواء؟

فقال: لا أستطيع أن أخبر به أحداً لأن عليَّ (حلف وطلاق) ألا أخبر به أحداً ولكنني سأخبرك بقصته، فقلت: هذا يكفيني.

قال: بينما كنت في بلدة (قبه) الواقعة إلى الشرق من القصيم على طريق الكويت وقد سكنتها سنوات عديدة كما تعلم، وإذا بدرويش جاء كما يقول حاجاً ولكنه كان مريضاً محتاجاً فبقي في المسجد على عادة الغرباء والمرضى ممن ليس لهم مكان في البلد.

قال: وقد أشفقت عليه، وأنزلته في غرفة من حوش في بيتي، وصرت أطعمه وألاطفه فلاحظ وجود قعود عندي أجرب في الحوش، وأنني أداويه عن الجرب بطلائه بالنورة والزرنيخ، كما اعتاد الناس أن يفعلوا.

فقال لي الدرويش: أنت سويت لي معروف، وأريد أن أكافئك بأن أخبرك بدواء للجرب أحسن من هذا، وأرخص منه، ثم أخذ بيدي وذهب بي إلى البرية، وأخذ شجرة أراني إياها فدق شيئاً من ورقها اليابس ومن أعوادها الدقيقة، ثم خلطه بكبريت أبيض، وبسمن، وقال: سأوريك سوف تصنع، ثم وضع في منخر البعير قليلاً من هذا الدواء مقدار فنجان أو أقل، ثم قال: أنت تصنع به هكذا لمدة ثلاثة أيام.

وقد فعل ذلك أمامي فذهب الجرب من البعير، وصرت أداوي الجرب في الإبل بهذا الدواء.

* * *

يعد الإمام:

على ذكر مقامه في بلدة (قبه) حدثني أن الشيخ حمد المزيد كان قاضي (قبة) وكان يصلي بالناس، قال: أمرني الشيخ أن أعد الناس في صلاة الفجر حتى يعرف من صلى منهم ممن لم يصل على عادة كانت متبعة في نجد.

قال: وفي مرة من المرات نمت ولم أنتبه إلا بعد أن صلى الناس ولكنني تسللت إلى المسجد ولم يكن فيه سراج، و لا فيما حوله أي ضوء، وجلست أمام الصف ملقياً وجهي للناس على العادة وقد صدف أن الشيخ حمد المزيد كان مريضاً في تلك الليلة فأرسل إلى إبراهيم التويجري والد الأستاذ صالح بن إبراهيم التويجري الذي صار مدير مالية بريدة فيما بعد أن يصلي بالناس وأنا لا أعلم بذلك.

وكانت العادة أن أبدأ بصالح التويجري في العدد فبدأت به بالفعل ولم أكن أعرف أنه هو الذي صلى بالناس، لأنه كان جالساً في المحراب، وأنا في طرف الصف والمسجد مظلم فناديته فقال لي: كيف تعدني وأنا الذي صليت بالناس هو أنت ما صليت معنا؟

فقلت له: إنني بدأت بك حتى يعرف الناس وأنت الرجل الدين المطوع أن العدد للجميع حتى للمطوع الذي يصلي بالناس، فلا يكون أحد من الناس في نفسه من ذلك شيء!!

* * *

من طرائف الملا الحفيد عبدالله بن سيف:

قال كنت مرة في إحدى بلدان العراق الجنوبية فرأيت رجلاً واقفاً على باب مسجد عرفت فيما بعد أنه المؤذن، وكان الوقت وقت صلاة فقال المؤذن لرجل كان يمشي أمامي: ما تصلي يا مرحوم الوالدين؟

قال: فغضب الرجل وشتمه فاعتذر إليه المؤذن أشد الاعتذار ثم قال لي وقد حاذيته: ما تصلي يا أخوي؟

قال الملا: فقلت في نفسي: الوقت وقت صلاة، وهذا يرجوني أن أصلي ثم قلت له: بلى، فدخل المسجد ودخلت خلفه فوجدنا الإمام وحده في المسجد، فقال له المؤذن: لقينا ابن هالأجاويد، يريد يصلي.

قال: وأقام الصلاة ولم يكن خلف الإمام، إلا أنا والمؤذن، ولم أشعر بعد أن كبرنا تكبيرة الإحرام إلا بالمؤذن يدفعني من ظهري يقدمني بجانب الإمام.

وعندما انتهت الصلاة لم يكن صلى مع الإمام إلا أنا، فقال الإمام: وين راح (كذا) كلمة سب يقصد بها المؤذن.

ثم لقيت المؤذن مصادفة بعد أيام، فقلت له: إن الإمام سأل عنك، وهو غير راضٍ عن خروجك دون أن تصلي معنا، فقال: هذا (كذا) كلمة سب له، تعرف أنه لولا الوقف على إمام المسجد ما صلى أبداً، هذا يصلي لأجل الوقف.

هكذا سمعت (الملا) يرويها، وظني أنها من توليده، أو أنه قد حسنها بما أضافه إليها من حواش أو تعبيرات بمثابة البهار.

مع أننا لم نعهد عليه الكذب، وإنما عرفنا منه القدرة على سبك النوادر والحكايات، وإلباسها ثوباً مضحكاً لافتاً للنظر.

* * *

خذ من بعره وفتّ على ظهره:

حدثني الملا عبدالله بن سيف قال: سافرت مع الجَمَّال فلان، وذكر رجلاً أعرفه ولكنني لا أريد أن أذكر اسمه لأن له أولاداً وأحفاداً معروفين، وكان أحد أباعره جملاً كان يرغو كثيراً فعرف أن فيه شيئاً يؤلمه، وكان يحمل حملاً ثقيلاً فعندما ضحينا أسرع يكشف عن ظهر الجمل، فرأى فيه دبرة كبيرة حمراء اللون، و الدَّبَرة في ظهر البعير كالقرحة في ابن آدم، وإذا تركت أضرت بالبعير، وعدم قدرته على الحمل إلا بالرغاء الذي يشبه الشكوى.

وقد اعتاد الجمالون على أن يفتوا بعرة أي يكسروها بين أصابعهم أو بشيء آخر ثم يضعونها فوق الدبرة فتمتص رطوبتها، وتقي من ألم الحمل فوقها.

قال الملا: فقال لي الرجل: يا عبدالله، يا عبدالله، دور لنا بعرة نبي نحطها فوق الدبرة، قال: فبحثت عما حولي فلم أجد، أي بعرة لأننا في مكان خالٍ في البر، فأخبرته بذلك فانتهرني وكنت أصغر منه سناً.

وقال: أنت ما تعرف، فقلت له: أنت تعرف أرني كيف تحصل على بعرة غير موجودة؟

فقال: أوريك ثم فسر كمه عن ذراعه، وأدخل يده في ذنب البعير وأخرج من أمعائه بعراً حاراً، وقال: ما سمعت المثل الذي يقول: (خذ من بعره، وفتّ على ظهره)، وهذا أحْسن من البعرة القديمة لأن هذي حارة ثم صار يفت البعر الذي أخرجه من ذنب البعير ويضعه على الدبرة في ظهر البعير.

* * *

الجدي الثابت:

تزوج عبدالله بن سيف على أمِّ عياله امرأة أخرى فطلقها، ثم تزوج بأخرى لبثت عنده فترة ثم طلقها أيضاً، وقال لزوجته أم عياله: يا فلانة، أنت مثل نجم الجدي الذي ما يغيب أبداً، ولا يتحرك من مكانه، أما النساء الأخريات فهن مثل النجوم التي تطلع ثم تغيب.

* * *

الملا ابن سيف وابن جلوي:

حدث الملا الحفيد عبدالله الناصر بن سيف عن واقعة له مع الأمير عبدالله بن جلوي أمير منطقة الأحساء، وأظن أن بعضها من باب التندر والتمليح ذكره الملا، قال: كنت في الأحساء أنا وشخص من أسرة العبودي، إذا برجل الأمير ابن جلوي يقف علينا ويسأل، أفيكم الملا ابن سيف؟

قال: وكان ابن جلوي مهيباً لذلك خفت أن يكون أحد قد سبني عنده، أو لفق عليَّ شيئاً فقلت: أنت تبي العبودي أو الملا ابن سيف؟

فقال: أبي الملا.

قال: فقلت: أنا.

فقال: تعال معي للأمير ابن جلوي، قال: فأسقط في يدي، وذهبت معه فدخلت على الأمير في مكتبه، وإذا به يكتب شيئاً فقال لي من دون أن يرفع رأسه إليَّ: أنت الملا ابن سيف؟

فقلت: نعم، يا طويل العمر.

فمضى يكتب وقال بعد ذلك: أنت الملاَّ؟

فقلت: نعم.

ولما أكمل الكتاب الذي معه تفرغ لي وقال: عندنا بعارين وخيل بهن جرب ونبيك تداويهن، كم تداوي الواحدة منهن؟

قال الملا: فقلت: الناس أداوي لهم على ثلاثة أريل لكل بعير أو فرس وأنتم ابي أداوي بعارينكم وخيلكم على ستة أريل للواحد.

فقال: لماذا؟

فقلت: لأنكم الشيوخ أقوى من سائر الناس.

فقال: لا، داوهن على ثلاثة أريل مثل الناس.

فقلت: لا بأس.

ومضيت في عملي حتى أكملت مداواة ما يحتاج إلى دواء منها وهي التي أصابها الجرب، أما السليمة فتركتها.

ولما أكملت عملي ذهبت إليه، وأخبرته، فقال: اذهب إلى مدير المالية أو قال: موظف المالية عنده.

وقد قدرت أن الذي لي هو ثلاثة آلاف ريال، فذهبت إلى مدير المالية، وطلبت منه ثلاثة آلاف ريال، فأعطاني ألف ريال، فأخذته وقلت له: هذا أقل من حقي، فقال: ما عندي إلاّ هذا.

فذهبت للأمير ابن جلوي، وقلت له: يا طويل العمر، الرجل ما عطاني إلاّ ألف ريال، وأنا لي ثلاثة آلاف فأصغى إليّ كالذي يريد أن يسمع كلامي أكثر، وقال لي: قرّب مني فلما قربت منه رفع يده كأنه يريد أن يصفعني! وقد أسرعت إلى باب المكان الذي هو فيه أريد الهرب خوفاً من ذلك، وإذا به باب أكثره زجاج فلم انتبه له من شدة التأثر وظننته خالياً فارتطمت به.

قال: وأنا أعرف أنه لا يفعل ذلك إذا تيقن أنني أستحق ثلاثة آلاف ريال، وإنما يجوز أن المسئول عنده عن الإبل والخيل لم يذكر له أنني داويت إلاّ أقلّ مما ذكرت، إن لم أكن أنا قد غلطت، وأنه ظن أنني قد زدت على ما استحقه، أو عرف أنني موظف عند الملك عبدالعزيز لهذا الغرض مع أني لست موظفاً عند أحد غيره، بل أنا أداوي إبل الآخرين، وأخذ مقابل ذلك ما أستحقه، وأظن الملك عبدالعزيز بن سعود يعرف ذلك، ولكن كان المهم عنده ألا يبقى شيء من إبله بغير دواء.

وأقول أنا مؤلف الكتاب: إن الملا عبدالله بن ناصر بن سيف من الذين

يحبون النكت والأخبار وربما كان أدخل شيئاً على هذه القصة ليقربها من ذلك، إن لم تكن الواقعة إذا صحت مما يدخل في باب النكت والنوادر.

ابن سيف في الدرجة الأولى:

حدثني ناصر بن محمد بن سيف، قال: كان الملا عبدالله بن سيف في الرياض ويريد الركوب منها إلى بريدة فوجد سيارة مما يسمى بالأبلكاش وهي كالبكس إلاّ أن صندوقه من الأبلكاش، وهو الخشب المضغوط، وصندوقه طويل، وسأل صاحبه عن الأجرة إلى بريدة؟ فقال: ماهيب واحد الذي في قدامي الصندوق بثلاثين، والذي في الوسط ٢٠ والذي في آخره بخمسة عشر، فقال الملا: وهي كلها سيارة واحدة؟

فقال صاحبها: نعم، وصندوق واحد، قال ناصر السيف فقال والدي الملا: أركب بخمس طعش وركبت بالفعل، وبدأت أتحدث إلى الذين بجانبي فناسبهم حديثي فطلب الذين في أوسط السيارة من الذين دفعوا ٢٥ ريالاً أن أقترب منهم حتى يسمعوا حديثي، وقالوا لي: قرِّب و افسحوا لي بينهم، وكان الملا لطيف الجسم، فركب في المكان الذي أجرته ٢٠ لأن أهله أفسحوا له بينهم.

قال: ولما سمع أهل الأمامي الذي هو بمثابة الدرجة الأولى حديثه نادوه وأفسحوا له بينهم ليسمعوا حديثه.

قال الملا: فركبت مع الذين سلموا ثلاثين ريالاً وأنا لم أسلم إلاّ خمسة عشر.

انتهى الكتاب..

الفهرس

تقديم الناشر ٥

المقدمة ٩

الملا ابن سيف ١٣

اسمه ونسبه ١٤

عصر الملا ابن سيف ١٦

أسرته ١٨

الكتّاب من أسرة السيف ١٩

صالح بن محمد السيف ٢٠

محمد بن سليمان بن سيف ٣٧

سليمان بن محمد بن سيف ٤٠

عثمان بن محمد بن سيف ٦٢

ناصر السليمان بن سيف ٦٤

وثيقة مهمة ٧٣

وثائق أخرى بخط ناصر السليمان بن سيف ٨١

أبناء ناصر بن سليمان بن سيف ٩١

خط الملا ابن سيف وأسلوبه في الكتابة..... ٩٥

أسلوبه في الكتابة ٩٧

وثيقة أخرى مهمة ١٠٢

ماذا يقول الإخباريون ١٠٨
عبدالمحسن السيف .. التاجر ١٢٣
أخبار الملا ابن سيف ١٢٧
أخباره مع أمراء عصره ١٣٠
مغاضبة الزوجة العزيزة ١٣١
عسانا انسترنا ١٣٢
عطية من حصى ١٣٣
يتفق مع اللصوص ١٣٤
يتخلص من حيلة الحاكم ١٣٥
لم يرسل يد امرأته ١٣٦
خصاء العبد ١٣٧
زوجته ١٣٨
العجيلة ماهيب مثل الثور ١٤١
وصية زوجة الملا ابن سيف ١٤٢
قربة القيظ وسراج الشتاء ١٤٥
أبناء الملا ابن سيف ١٤٧
أخباره مع أبنائه ١٥٢
درس عملي في الاقتصاد ١٥٣
عندما غضب من أبنائه ١٥٤
مع حمد الصقعبي ١٥٩

يأخذ فراخ العصافير ١٦٠
التيس الذي أكل الهيل ١٦١
يداوي الجربى بدواء غير معروف ١٦٢
يعد الإمام ١٦٤
من طرائف الملا الحفيد عبدالله بن سيف ١٦٥
خط من بعره وفتّ عل ظهره ١٦٦
الجدي الثابت ١٦٧
الملا ابن سيف وابن جلوي ١٦٨
ابن سيف في الدرجة الأولى ١٧٠
الفهرس ١٧١